

الشؤون الاجتماعية والمعاون

مجلة شهرية تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك في اثني عشر عددا ١٥ قرشا

مدير التحرير المسئول : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس العدد

صفحة

٣	وجوب التعاون بين الشعب والحكومة — عبد الرحمن منزام بك
٧	شبان هذا الجيل — اسماعيل مدني باشا
١٤	أثر اللغة في الثورن الاجتماعية — محمد توفيق رنمت باشا
١٧	رجل الإدارة — علي جمال الدين باشا
٢١	الأضحية والقراين — الدكتور علي عبد الواحد وافي
٢٦	مباح الحياة — الأستاذ سيد قطب
٣٥	مشاهدات وملاحظات — الدكتور أحمد صيف
٣٩	أثر المرأة في توجيه الرجل — الأتمة مبر القهارى
٤٣	القضاائل القوية — الأستاذ أحمد رمزي بك
٤٦	في سبيل حماية النسل — الدكتور عبد العزيز نكلى بك
٥١	التعاون ميدان جديد للمرأة — الدكتور إبراهيم رشاد بك
٥٥	تعذر الزوجات والطلاق — الأستاذ محمد المهيأوى
٦٠	الأم قدرة لبناتها — الأستاذ سلامة موسى
٦٣	الزواج حاجة نفسية — الأستاذ عبد الرحمن مدني
٦٦	هل أنت زوجة صالحة
٦٧	من ذكريات القرية — الأتمة بنت الشاطلي
٧٢	البيت ليس فندقاً ولا مطعماً
٧٥	دعائمان قويتان — الدكتور محمد أبو ملاثة
٧٨	فلنداء
٨١	وقتهم من ترفهنا وقتنا من تراب — الأستاذ محمد أبو بكر إبراهيم
٨٥	نفسية العامل — م . هـ
٩٠	أقلل وأكثر
٩١	قواعد النجاح
٩٢	الى المسئولين عن القلاح
٩٦	نهوات العمال
٩٩	هجرة الأعيان من الريف
١٠٣	مما يرى ويسع في الطريق
١٠٧	النشاط الاجتماعي للشباب المصري
١١٠	الموظف والجمهور
١١٢	مدارس الخدمة الاجتماعية بمصر
١١٧	أسئلة وأجوبة

وجوب التعاون

بين الشعب والحكومة في الإصلاح الاجتماعي

لحضرة صاحب المعالي عبد الرحمن عزام بك وزير الشؤون الاجتماعية

كلما فكرنا في الإصلاح فكرنا في الحكومة وألقينا عليها كل الأعباء ،
وزرير الشؤون الاجتماعية يقول لنا إنه إذا كان على الحكومة واجب فإن
على الشعب واجبات وإن من ضروب الإصلاح ما يجب أن يسبق إليه
مجهود الفرد مجهود الحكومة ما

المحرر

اعتدنا في مصر أن نحيل على الحكومة جميع الواجبات وأن نحمل كاهلها جميع الأعباء ،
فهي المطالبة بنشر التعليم وبإنشاء الملاهي والمستشفيات وبترقية الزراعة وخلق الصناعات
وبإنجاد العمل للتعطيين وتوظيف الشبان المتعلمين ، وبغير ذلك مما يجب أن يعتبر بعضه
أو كله من واجبات الأمة قبل أن يكون من واجبات الحكومة ، أو على الأقل من واجبات
الأمة والحكومة متعاونتين .

ولكن تاريخ الحضارة الحديثة يدلنا على أن الإصلاحات الاجتماعية إنما قامت بها
الشعوب في أوروبا وأمريكا قبل أن تتولاها الحكومات ، بل يدلنا على أن عمل الحكومات
في تلك الإصلاحات لم يتجاوز حدود الرعاية والرقابة والتوجيه .

وفي مصر مشروعات الإصلاح جديدة تعزم الحكومة القيام بتحقيقها وتعنى المصالح
والإدارات المختلفة بإعداد برامجها وتقدير النفقات لها في الحدود التي تسمح بها موارد الدولة .
ولكن الذي يغنى علينا هو أن مجهود الشعب يجب أن يؤازر مجهودات الحكومة . لأن من
تلك الإصلاحات ما يولد عقيا ويظل عقيا إذا هولى إعرافنا من الشعب فلا يمكن تنفيذه
بأى قوة ولا بأى قانون حتى يقبل الشعب عليه ويتطوع ويعاون على تنفيذه .

في بلادنا من العادات والتقاليد ما يستحق المكافأة لمصلحة الاقتصاد والصحة والاجتماع ، وما لا يستطيع نفوذ الحكومة أن يمتد إليه أو يؤثر فيه . ولنضرب لذلك مثلا أعراسنا ومآتما .

نحن نسرف في نفقات الزواج وإقامة العرس إسرافا قتل أن نجد له شيئا عند غيرنا حتى لقد ينجل أهل العروسين أحيانا من الاقتصاد في تلك النفقات إذا اضطرتهم إليه ظروفهم المالية فيمتدرون براعاة حالة الحداد عن مد الموائد ونصب السرايدات وإقامة حفلات الغناء ودعوة المئات من المعارف والأصدقاء ، وقد تكون حالة الحداد غير موجودة في الحقيقة ولكنها عذر يلجأون إليه ليبرروا رغبتهم في الاقتصاد كأن الاقتصاد عيب ينجل منه أو يعتذر عنه .

والأصل في مقدم الصداق أنه معاونة من الخاطب لأهل عخطوبته على تأميت بيت الزوجية ، وتجهيز الخطوبة ببعض الحلى والثياب . والأصل في مؤجله أنه نوع من التأمين المالى تدنره الزوجة لليوم الذى تنفصل فيه عن زوجها . فإين هذا الأصل القائم على فكرة اجتماعية سامية مما صار عليه الصداق في هذه الأيام ؟

وتأميت بيت الزوجية أصبح موضوع مباراة ومباهاة وتفاخر بين الأسر حتى ليحتمل الوالد نفسه من النفقات مالا تطيقه مالهته فيعمد إلى الاستدانة ثم يعانى ما يترتب على الاستدانة من سئى التأجيل ووخيم العواقب .

واقدر نجم من الأخذ بسنة الإسراف في نفقات الزواج أن صار الشبان يعرضون عن التزوج أو يطيلون في التردد قبل الإقدام عليه ، وأن صار الوالدان يسوفان في تزويج بناتها ويرجئانه أو يحاشيانه فتضيع فرص وتغير مصائر لعلة كان من الخير أن لا تضع وأن لا تتغير .

وإسرافنا في الأعراس يقارنه إسراف فى المآتم . فإن السرايق النخم يقام الليالى المنواليات ويدعى إليه أفلى المقرئين وتنفق فى ذلك كله نفقات يعلم الله أن منفقها فى حاجة إليها . ولكنه حب المظهر الكاذب هو الذى يحملا عليها ويفرضها علينا فرضا . وأنه لما يستوجب الانجبال حقا أن نرى المآتم فى الرف تستحيل الى مناحات صاخبة تجرى فيها أعجب البدع والحرافات وتمثل أفبح المناظر والشذائات مما لا يرضى به عقل ولا عرف ولا دين .

فما الذى تستطيعه الحكومة حيال هذه العادات السيئة والتقاليد المزرية ، وما حيلة التشريعات والقوانين إذا لم تجد من الشعب نفسه استعدادا للإقلاع عن عادات وتقاليد ثبت ضررها ووضع خطرها ، ومن الطبقات المستنيرة فى الأمة مؤازرة على محوها والقضاء

عليها ؟ بل كيف يطلب من الحكومة أن تتدخل في هذه الشؤون وهي لا تملك إزاءها إلا النصيحة الفاضلة والموعظة الحسنة ؟

وهناك عادات أخرى نراها متغلغلة في الأوساط الفقيرة والمتوسطة الحال ؛ كالتمسح بالأضرحة وكنس المساجد وإقامة حفلات الزار والإيمان بفعل التمايم وأثر العين الحاسدة والنجوء إلى السحر والاستشفاء بالكتابات والأحجية . وهذه العادات لا يجدى فيها التشريع ولا يمكن أن تقع تحت طائلة القانون . وما دامت قائمة تجد الرضى والاقبال من بعض طبقات الشعب والإغضاء والتمسح من الطبقات الأخرى ؛ فإن الحكومة مهما بذلت من جهود وسنت من تشريعات ستظل عاجزة عن مقاومتها بل القضاء عليها .

على أنه إذا كان من صنوف الإصلاح الاجتماعي ما تقضى الحضارة أن يلبي واجب القيام به على الحكومة ، كحماية العمال وإعانة الأمومة ورعاية الطفولة والتأمين من التعطل والإصابة بالمرض والشيخوخة وإيجاد المسكن الصحي للعامل والفلاح ، فإنه يجب أن نذكر أن كثيرا من هذه الإصلاحات يحتاج إلى نفقات كثيرة لا تتحملها ولم تتحملها حتى اليوم إلا الدول الغنية بمعاونة الشعب مع أنه يتوافر لديها من موارد المال ما لا ينوء بشئ الأعباء . وموارد الدولة المصرية تنقص عن تقديم المال اللازم للإصلاح الاجتماعي في مختلف ميادينه إلا إذا تعطلت مشروعات أخرى لا يجوز تعطيلها ولا انتقاص أهميتها لحياة البلاد . ولكن هذا القصور يجب بداهة أن لا يحول بيننا وبين اتخاذ الاحتياطات هنا وهناك لمنع بعض الأضرار وتلافى بعض النقائص وتوفير الصحة والمعاش وأسباب الهناء للنسي للعامل والفلاح . ومن ثم فقد تعين على الشعب واجب مؤازرة الحكومة ومعاونتها على القيام بواجبها في هذا السبيل .

إن في مصر كثيرين من الأغنياء وأصحاب الأرض يملكون المئات والألوف من القدادين وهم قادرون على أن ينشئوا العزبة الصالحة ويحسنوا بعض الشئ من حالة القرية التي يعيشون فيها . وفي مصر كثيرون من أصحاب المصانع يستطيعون أن يوفرُوا للعالم أسباب الراحة والعلمانية والصحة ، لا بمراعاة الشروط الصحية في مصانعهم فقط بل بإيجاد النظام الذي يكفل للعامل ديشه وقت مرضه وانقطاعه عن العمل وعندما تحمل به الشيخوخة التي تكرهه على هذا الانقطاع . ولا يفوتنا أن كثيرين من كبار رجال الصناعة في أوروبا وأمريكا قد ابتكروا ألوانا من الإصلاح في العمل والمصنع وأنواعا من التأمينات لم يكن لحكوماتهم فيها يد ولا نصيب . ولعل من المعربين من سمعوا عن البيوت التي بناها لورد ليقرهولم لعماله في مصانع العباون المعروف باسم « سائلات » وعن مستعمرات العمال التي أنشأها مستر فورد لعمال السيارات الشهيرة بهذا الاسم وعن التأمينات التي أوجدها هذان الرجلان للعمال قبل أن تفكر فيها الحكومة .

وفى مصر حركة يجب أن تجدد من الأهالى كل معاونة وتأييد بل يجب أن تقوم على عاتق الأهالى وحدهم ، وهى حركة التعاون . فإن الحكومة المصرية تفعل مالا تفعله أى حكومة أخرى فى هذه الحركة التى يربى منها كثير من الإصلاح الاقتصادى والتقدم الاجتماعى لعامل المدينة وفلاح الريف . ولا شك أن الحكومة الحاضرة عندما أنشأت وزارة الشؤون الاجتماعية إنما كانت تحفزها إلى هذا الإنشاء رغبة صادقة فى الإصلاح ، وهى تقوم الآن بالدرس والبحث لكى تشيد ما تبنيه على أساس صحيح من الحقائق الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن نجاحها سيتوقف على القدر من المعاونة والمؤازرة الذى يقدمه إليها الشعب ، فلينبه الشعب الى واجبه وليعلم أن الحكومة مظهر من مظاهره وأن عليهما من الأعباء مالا يستطيع الواحد أن يقوم به دون الآخر .

عبد الرحمن عزام

— قال على بن أبى طالب لرجل أسرف فى مدحه : "أنا دون ما تقول وفوق ما تعتقد" .

— من ترك قولة "لا أدرى" أصيبت مقاتله .

— إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها الطرائف .

— اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإن الرواة كثير والراحة قليل .

— يأتى على الناس زمان لا يقرب فيه إلا المساحل (الواشى) ، ولا يفلتر فيه إلا الفاجر ، ولا يضعف فيه إلا المنصف ، يعدون الصدقة فيه غرما ، وصلة الرحم منا ، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وأمارة الصبيان وتدير الخصيان .

على بن أبى طالب

شبان هذا الجيل

حديث مع حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا

أقبل على مشرق الوجه خفيف الحركة متجدد الشباب ، ترتسم على شفثيه الابتسامة التي حار الناس في فهم معانيها إذ هي لا تتغير بل تبقى هي هي في أعقد المواقف وفي أهرج الأوقات ، حتى لقد رأيتها تلازمه يوم أرادوا اغتيال حياته في محطة القاهرة كما رأيتها تلازمه زفاف كريمته في رمل الاسكندرية . أقبل على وهو يحك إحدى راحتيه بالأخرى ليدفنها قبل أن يمدها للسلام وابتدري قائلاً :

” لو علمت أهمية العمل الذي قطعته الآن لأخلو إليك هذه الساعة لأدركت منزلة مجلة الشؤون الاجتماعية من نفسي . أنتى أحنى الوزارة بهذه المجلة الثينة القيمة ، وأرجو أن تتحمل هذه التهنئة الى معالى وزيركم “ .

قلت : أشكر لدولتكم هذه المجاملة المشرفة .

فقاطعتنى بإشارة حاسمة وقال : لا والله ، فلست أريد مجرد المجاملة فالحقيقة هي أن مجلة الشؤون الاجتماعية جديرة بالمطالعة والتشجيع ، ويجب تأييدها وتعميم نشرها طالما حافظت على هذا المستوى من البحث والتحريز . بل لعلى أذهب الى أبعد من ذلك فأقول : إن هذه المجلة لو لم توجد لوجب إيجادها . فهي تفيد الأسرة والشبان المسؤولين عن العامل والعلاج أجل فائدة ، وإنه ليسرنى أن أراها بين جميع الأيدي وفي جميع البيوت .

قلت : إن القائمين بأمر المجلة سيسرهم أن يسمعوا هذا التقدير من رجل كدولتكم ولسوف أنقله إليهم كلمة كلمة .

ثم استند دولته الى ظهر مقعده الوثير وقال : والآن وأنا مطمئن الى أن الذى يحدثنى ليس صحافيا سياسيا ، تستطيع أن تسألنى ما تشاء .

قلت : إن من الأمور التي تمنى بها وزارة الشؤون الاجتماعية وتعالجها مجلتها أمور الشباب . ودولتكم قد خبّرتهم الشبان المصريين في وظائف الحكومة وفي أعمال الشركات والمتاجر . فما أبرز عيوب هؤلاء الشبان وما أنصح الوسائل لعلاجها ؟

فتبسم الباشا واعترض قائلا : ولماذا تريد أن أبداً بسرد عيوب شباننا قبل أن نتحدث عن مزاياهم ومحاسنهم ؟ إن في شباننا المصريين فضائل يجب أن نمجدها ونشيد بها بقدر ما يجب أن نتعهدنا وننهيها . ففيهم من دماء الخلق وأين العريكة وحب المرح وقوة التحمل وسهولة الطبع والقدرة على المحاكاة شيء كثير . وهم لا تنقصهم روح السمو والوثوب ولا الكبرياء القومية التي تجعلهم يعتزون بقوميتهم ويحاولون أن يرفعوا هذه القومية إلى مستوى جدير بأن يفخروا بها ويباهاوا غيرهم من الشعوب .

نعم إن العراك الناشب بين الأحزاب السياسية في مصر منذ عشرين سنة قد وضع أمام أعين شبان هذا الجيل بعض مثل سيئة وبعض قدوات غير صالحة أثرت إلى حد ما في اخلاق طائفة منهم ، اذ عززت في نفوسهم شيئا من الإيمان بنزاهة الوطنية المصرية وبعت فيهم اليأس من صلاح حال أمتهم وصرفت بعضهم عن العمل المنزه لوجه الوطن . وهذه بلا شك سحابة كدرة تغشى جو الشباب في هذه الأيام ، ولكنها على كل حال مجرد سحابة ، وليس للسحاب استقرار ولا دوام .

”بعد ذلك استمع لنفسي أن انتقل إلى عيوب شباننا فأقول إن من أبرزها كره الشباب المصري للمسئوليات وتفوره من الأعمال التي يتحمل تبعاتها وحده . فالموظف الشاب يهرب من المسؤولية بأن يحاول توزيعها على زملائه أو بأن يشرك فيها رؤسائه ويتمنى لو يتغطى دائماً بالرئيس حتى في التفاصيل الثافهة التي لا تستوجب مشاورة هذا الرئيس . ومن ثم كان بطء الآلة الحكومية وطول الإجراءات التي تعطل مصالح الجمهور ، حتى لقد جرى مجرى الأمثال قول الناس ”يوم الحكومة شهر“ وهذه سمعة شائنة نود جميعاً أن نعمل على إزالتها .

”وإذا تحدثت عن الموظف الشاب فإنني أتحدث عنه بشيء من التحفظ ، ولا أقصد بقولي هذا نزاهة الموظف ولا شرفه ولا تعففه ، وإنما أقصد ذلك الشعور الداخلي الذي يجب أن يوحى إليه أنه خادم للجمهور وأنه يتقاضى أجراً على هذه الخدمة فيجب أن يؤديها على أحسن وجه ممكن وأنه مدام في ديوانه فكل وقته مكرس للجمهور ، وأن اللحظات التي يقضيها في مسامرة صديق أو في مطالعة صحيفة أو في التنقل بين المكاتب لزيارة الزملاء ، كل ذلك عبث بحق من حقوق الدولة عليه وتعطيل لمصالح يجب أن تنجز في سرعة وفي دقة .

” هذا الشعور الداخلي الذى يجب أن يعتبره الموظف الشاب أول وأكبر رقيب عليه فى عمله ، لا يزال فى حاجة الى التنمية والتعهد .

” لقد كنت رئيسا للحكومة وفى الوقت نفسه وزيرا لوزارتين مختمتين وكنت أحمل بجانب ذلك كله اعباء أخرى باهظة ، وكان فى استطاعتى أن اتخفف من هذه الأعباء أو من بعضها ولكنى كنت أؤمن بأنى خادم للجمهور أمين على مصالحه فكنت لا أترفع عن قراءة العرائض التى ترفع الى وكنت أحيلها بخطى الى الوزير المختص وأرجو منه أن يتكلم معى بشأنها ، وكان ذلك يقتضى وأنا فى هذه السن أن أبدأ عملى فى الساعة السادسة من الصباح واستمر فيه حتى ساعة متأخرة من الليل ، فهل يكثر على الموظف الشاب أن يفرغ نفسه لعمله الرسمى ست ساعات ؟ .

» وأعود الى عيوب شبان مصر فأقول إن من أبرزها أيضا أن ميلهم الى الأعمال التى تبعدهم عن المسؤوليات قد أقدمهم عن حب الابتكار ، فهم يدورون دواما فى المدار الذى وضعوا فيه وبالكيفية التى رسمت لهم ، ولا يحبون أن يخرجوا منه الى حيث تتكشف لهم آفاق جديدة يصرفون فيها مواهبهم المجهولة ويستغلون ذكاءهم الدفين ، ولعل الركون الى الهدوء والراحة ، وبغض التحرر من القيود التقليدية ، والاعراض عن محاولة الابتكار والتجديد ، هى فى مقدمة الأسباب التى تجعل الشاب المصرى أقل نجاحا فى الأعمال الحرة منه فى الوظائف الحكومية .

” وعلاج هذه الحالة لا يأتى بالطفرة وإنما يترك للزمن فهو خير مدرب وأفيد مدرس ، ولا شك أن المثل التى يضر بها الأجانب المقيمون بيننا سيكون لها أثرها الفعال فى نفوس شباننا وستكون قدوة حسنة يقتدون بها عندما تقفل فى وجوههم أبواب المناصب الحكومية وتضيق بهم مكاتب الشركات . إن أمام الشاب المصرى فضلا عنيقا فى الحياة والوقوف تحضره طبيعة الأحوال الى أن يعتمد على نفسه فى حياته ، وهذا الاعتماد الذى لاغنى عنه لذلك النضال سيصهر روح الشباب وعقليته ومداركه ومواجهه وسيجولو نفس الشباب لعبيده فيتين ما فيها من مزايا وعيوب ، وإذا قلت أن نلزم عمله فلا انسى أن للتعليم المدرسى عمله أيضا فيما يجب من الكشف عن استعداد الشبان وحسن توجيههم . غير انى لاحظ مع الأسف الشديد أن المحاولات التى تبذل فى هذا السبيل ليست كافية وأن النظريات المجردة لا تزال تطفئ فى معاهدنا العلمية على التوجيه العمل المفيد ، وانى أعتمد على الزمن أيضا فى ترقية البيئة المنزلية التى يتربى فيها الشاب ، فان هذه البيئة على ما هى عليه الآن لا تبهت فيه روح الجهد والاعتماد على النفس والرغبة فى الابتكار ومحاولة الخروج عن المدار الضيق الذى تنحصر فيه آمال الشبان ، وهو مناصب الحكومة ووظائف الشركات .

قلت "ولمناسبة ذكر الشركات ، ودولتكم أعرف من غيركم بأعمالها وماتتطلبه هذه الأعمال من مواهب وأخلاق ومؤهلات ، حل ترون أن الشباب المصرى يستطيع وهو فى حاله الراحنة أن يعوض الشاب الأجنبى فيها ؟ ."

فاطرق دولته مليا وهز رأسه من أعلى الى أسفل ومن أسفل الى أعلى فى حركة تم على الشعور بخطورة السؤال ثم قال :

"نعم يستطيع أن يعوضه ولكن إلى حد ما . وأقول إلى حد ما ، لأنه ينبغي أن لا ننسى أن وراء هذه الشركات رؤوس أموال يجب أن تستثمر على خير الوجوه . فما يمكن أن يتقاضى عنه فى بعض الوظائف الحكومية لا يمكن أن يتقاضى عن مثله فى أعمال الشركات . إن المسئوليات فى مكاتب الشركات محددة تحديدا دقيقا والأعمال موزعة توزيعا عادلا . فأى نقص فى الكفاءة أو ضعف فى الخلق أو تقصير فى العمل لا يلبث أن يبدو واضحاً للرؤساء ولا بد أن يتأثر به سير العمل . لذلك أنصح بأن نسلك فى موضوع إحلال المصريين محل الأجانب سلوكا حذرا وثيدا نراعى فيه مبلغ نضجنا وكفائتنا واستعدادنا وإلا أدى التمسرع إلى ظهور شكاوى وطعون وانتقادات وأحكام لانحجها . لقد سبقتنا حكومة تركيا إلى هذا الإجراء وأبت إلا أن تفرض شبان بلادها على الشركات الأجنبية فرضا وفى فترة قصيرة من الزمان . ولكن هذا العمل ، الذى لا شك فى أنه عمل قومى شريف ، قد أحدث هزة عنيفة فى دولاب الأعمال ما أظن إلا أنها تركت أثرها فيه . نعم لى أود لو أغمض عيني وأفتحتها فأرى المصريين يشغلون وظائف الأجانب فى الشركات ولكنى فى الوقت نفسه أرجو أن تترث ونتمهل حتى نراهم يشغلونها بمجدارة مشرفة واستحقاق لا شك فيه .

"أظن أننا لا نختلف فى أن محمول شباننا من اللغات الأجنبية محمول ضئيل أو غير كاف ، وذلك راجع الى نقص برامج تعليم تلك اللغات فى مدارسنا والى ضعف الوسائل التى تعلم بها فيها ، فكيف نتصور أن حامل شهادة البكالوريا المصرية يستطيع أن يعمل بتفوق أو بنجاح فى شركة تدير أعمالها بلغة لم يتكلم منها ، وكيف يتسنى لهذا الشاب أن يفهم التقارير المطولة والمكاثبات الفنية أو أن يستقرئ الإحصاءات الدقيقة ويرتب عليها النتائج الصحيحة بافغة لا يلم بها ؟

"ولقد لاحظت أيضا أن أبناء الشرقيين المتحصرين قد استطاعوا أن يعوضوا الأجانب فى مكاتب الشركات وفى المتاجر ونجحوا فى ذلك إلى حد لم يبلغه شباننا المصريون . وذلك راجع بغير شك الى أن هؤلاء المتحصرين نشأوا فى بيئة كلها حد ونشاط وصبر وجلد واعتماد على النفس وعدم الاستخفاف بأمور الدنيا وشؤون الحياة ، والى أن آباءهم يعلمونهم العلم والعمل ويدفعونهم إلى ميدان العمل بعد أن يلقنوهم أن نصيبهم من الحظ لا يمكن إلا أن يكون معادلا

لما يذلونه من اليهود . بخلاف أكثر أبنائنا الذين يعتمدون في الغالب على أهلهم وأصدقائهم من ذوى النفوذ والجاه فيرتبون مستقبلهم على هذه الاعتبارات ، حتى إذا تخطاهم الحظ أو قعد بهم التوفيق فقدوا كل أمل ولبثوا ينتظرون الفرصة التى قل ما تسع .

”على أنه إذا دخل فى روع شباننا وثبت فى وهمهم أن الأجانب قد سبقوهم إلى ميادين النجاح بمراحل يتعذر عليهم ادراكهم فيها ، فلا أقل من أن يتخذوا من الشرقيين المتحصرين قدوة لم يحتذونها . وحسبهم أن إماموا أن كل أصحاب تلك الأسماء المشهورة منهم لم ينشأوا أغنياء وإنما نشأوا فقراء فأوصلهم الجهد والاعتناء على النفس إلى الغنى الذى وصلوا إليه .

”لا يكفى أن تقتصر اعتمادنا على مصر يتنا لدعى الأحقية فى شغل وظائف الشركات . وإنما ينبغى أن نسمو بمؤهلاتنا وأخلاقنا حتى نكون أهلا لها . وأرجو أن يغينى هذا التلميح عن تفصيلات لا أريد الخوض فيها “ .



قلت : نحن نسمى دولكم ” رجلا ناجحا “ فهل تحدثوننى عن الصفات الخلقية والنفسية التى تساعد العلم والذكاء على ادراك النجاح ؟

فأجاب دولته :

”النجاح؟... ومن ذا الذى يستطيع أن يخضع النجاح للقواعد والقوانين؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يسقط نصيب الحظ والصدفة والعوامل الخارجية فى النجاح ؟ ... ولكنى رغم هذا أقول لك أن لسائر الناس خمس حواس عرفت بأسمائها . وهنالك حاسة سادسة لا تتوافر إلا فى بعض الموهوبين . وهذه الحاسة السادسة لا أعرف لها اسما ، ولك أن تسميها ” حسن الوزن “ أو ” جنس التقدير “ فإذا اجتمعت هذه الحاسة مع العلم والذكاء فى إنسان فهى تهديه إلى حسن وزن الأمور وإلى حسن تقديرها فيستطيع أن يتبين بها الممكن من المستحيل وحدود الإمكان وحدود الاستحالة فى جميع المشروعات التى تمر بخاطرهم .

”أنك عند ما تريد أن تجتاز الشارع وترى سيارة مقبلة من اليمين أو من اليسار فإنك تقيس بهذه الحاسة المسافة التى تفصل بينك وبينها وترتب على هذا القياس إقدامك أو إجمامك ، كما أنك ترتب عليه إبطاءك فى الخطو أو إسماعك فيه ، وكثيرون من الناس يخطئون فى القياس فتصدمهم السيارة ، وكثيرون منهم يخطئون فى القياس أيضا فيترشون أكثر مما يجب التريث فبضيعون الفرص .

”هذه الحاسة الموجودة بالفطرة في الانسان العاوى تنمو وتتوقد في بعض الأذكياء والمنعمين فتحمل الواحد من هؤلاء الموهوبين كلما خطر له مشروع ، على أن يقبس حدود قدرته وحدود عوامل النجاح التي بين يديه وحدود الظروف الملائمة لمشروعه وحدود الطوارئ غير المتوقعة التي قد تطرأ عليه ، فتى أحسن الوزن والقياس لم يبق أمامه إلا أن يقدم فينجح . أما إذا لم ينجح فعنى ذلك أنه اخطأ في الوزن والقياس والتقدير .

”على أنها حاسة تصادفها في كثير من الناس ، وأظن أن فقدانها كان السبب الأهم في فشل بعض عظماء التاريخ ولا يزال السبب الأهم أيضا في إخفاق مشروعات كان المظنون أن يلازمها النجاح .

قلت : ”إن حياة دولكم حياة كلها جهاد ونضال ، ولا بد أنكم أخفقت مرة في مشروع خطير أو فشلت في تحقيق خطة كنتم تنتظرون لها نجاحا كبيرا ، فإذا كان أثر الفشل والإخفاق في عزيمتكم ، وهل وصل بكم مرة إلى حد اليأس الذى يقعد عن معاودة السعى والعمل ؟

وها صحتك دولته ضحكة الذكى المتنبه الذى لا يخفى عليه خبث محدثه وقال :

”إنك تحاول أن تجرنى إلى الكلام عن نفسى . ولكن لا بأس ولكن لك ما تريد ، فلعل خبرتى وتجاربى ووسائلى تفيد الشبان الذين تنقل اليهم هذا الحديث .

”لقد عرفت حلو الأيام ومرها ولقد صادفتنى صعوبات كثيرة وصدمتنى صدمات هائلة ومع ذلك فها أنا ذا كما ترى لم أغرق فى خضم الحياة الذى ابتلع كثيرين غيرى .

”إنى لم أعرف اليأس قط ولم يحطم الإخفاق إرادتى ولم يقل عزيمتى ، وكنت دائما وفى كل أحوالى أعتمد على نفسى وأومن بأن الشئ ما دام ممكنا فلا بد من الوصول إليه إن لم يكن من هذا الطريق أو ذاك فمن طريق غيرها .

أى نعم ! لقد صدمت صدمات كفيفة بأن تنهى حياة رجل سياسى أو لا تدع له أملا فى العودة إلى مسرح السياسة ، ولقد ظن الناس عقب كل صدمة من هذه الصدمات أنى لن تقوم لى بعدها قائمة ، ولملك تذكر الظروف التى خرجت فيها من الوفد المصرى ، ولعلك تذكر أيضا الظروف التى فرقت بين بعض الزعماء وبينى ، واختلاف وجهات النظر الذى أدى إلى استقالة وزارتى سنة ١٩٣٣ ، لقد كانت هذه كلها حالات موجبة لليأس ولكنى لم أياأس قط .

” كنت في كل مرة أستعرض حالتي كما يستعرض التاجر دفاتره أو كما يفحص الميكانيكي الجهاز المعطل بين يديه ، فإذا وجدت خطأ في الحساب عرفته وصححته وأقمت عمل على حساب جديد ، وإذا وجدت قطعة في الجهاز مكسورة استبدلت بها غيرها ، وإذا رأيت أن الجهاز كله غير صالح أتيت بجهاز جديد ، وبذلك أعاود السعي وأستأنف المسير فأصل وأنجح في بلوغ ما أريد .

” يجب الصمود للشدائد والاعتماد على النفس والإيمان بأن صدق العزم وحسن الوسيلة كفيلان بالوصول إلى الغاية وهذه هي النصيحة التي أقدمها إلى شباب هذا الجيل “ .

وهنا رأيت أني أسرفت في استغلال لطف الرجل بالإطالة في هذا الحديث فوقفت عندهذا الحد وشكرت لدولته فضله وطول أماته وودعته على أن أعود إليه كلما فكرت في أن أزيح إلى شبابنا حديثاً قيماً مملوءاً بالإرشادات القائمة على تجارب الأيام وخبرة الحياة “ .

ح . ١ .

-
- خطة العاقل في رأسه ، وخطة الجاهل في نفسه .
 - الوقت عدو مجتهد ، لا يدافعه إلا مجتهد .
 - الشباب أعراس الجمال ، والمشيبي مآتمه .
 - الخاصة أذوق لحكمة البيان ، والعامة أذوق لحكمة الإلحان .
 - العامة أذئاب من يمسح رءوسهم .
 - يهدم الصدر الضيق ما يبني العقل الواسع .

شوقي

أثر اللغة في الشؤون الاجتماعية

لحضرة صاحب المعالي محمد توفيق رفعت باشا

رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية

إذا كان صحيحا أن اللغة أثر غير قليل في شؤون الحياة الاجتماعية ، فصحيح أيضا أن لكل شأن من هذه الشؤون أثر غير قليل في اللغة . وذلك أن اللغة ما تزال تتبع طوارئ الحاجات وتحرق دواعيها ، ثم لا تنصرف عنها إلا بمغرم من الأوضاع والتسميات المستحدثة ، فإذا استدعتها بعد ذلك حاجة طارئة أجابتها من هذه الأوضاع والتسميات بما تطلبه بعد أن تكون قد طبعته على غرارها .

فحال اللغة في الشؤون الاجتماعية هي أبدا حال أخذ وعطاء : هذه الشؤون تظهر الحاجة وتدل على الضرورة ثم تقتضى من اللغة أن تتمكنها من وسيلة التعبير عنهما وتيسر لها أداة التفاهم فيهما ، واللغة تناول هذا الذى يتجدد من حاجات وضرورات فتلبسه من عندها ثوبا يساويه وتعطيه من ذخيرتها اسما يطابقه أو تعبيرا يدل عليه .

وفي القديم دليل على ذلك لا ينكر ولا يرد . فحينما كانت شؤون الجماعة مقبسة بحاجاتها القليلة ، كانت اللغة تقوم لهذه الشؤون بكفايتها من الألفاظ والتعبيرات ، وكانت تسخو لكل شأن بما يؤدى إلى المتخاطبين أغراضهم من معانى الحقيقة والمجاز . فلما استفاضت مطالب الجماعة واستجدت لها حاجات ، كان لابد أن تسعفها اللغة بما يتيسر به التفاهم على هذه المطالب والحاجات . وهنا اتسع صدر العربية للدخيل حينما وفزعت في الأحيان الكثيرة إلى أصولها تشتق منها الدوال من الأوصاف والأسماء بعد أن تطيع فيها حكم ضوابطها المقررة .

وقد صح عند الناس أن اللغة كائن حي . فهى بذلك تنتقل ، مع اختلاف الزمن والإقليم والبيئة ومع تدرج الحياة ، من ضيق إلى سعة ومن سعة إلى ضيق ، بين أطرار لا تنهى .

وتمثيلا لذلك نفرض أن أنواعا من المنافع المادية أو المعنوية دخل بها اجتهد العقول على شأن من شؤون الحياة. فكيف يكون موقف اللغة من هذه الأنواع الطارئة ؟ إنه لا يكون شيئا غير أن يعطى كل نوع مطلبه من الألفاظ والتعبيرات ، وأن يمكن أهل النظر فيه وأصحاب العناية به من أسباب البيان والإيضاح . ولكن وسيلة اللغة الى ذلك إنما هى وسيلة الشريك الذى لا ينفرد بالعمل . فكما اقتضت الضرورة حاجة من الحاجات الاجتماعية ، مدت يدها الى اللغة بهذه الحاجة لتصنع لها من الألفاظ ثوبا على قياسها ، وكما ارتفعت شؤون الاجتماع درجة فى سلم الرقى ، أو كلما اتسعت ثروة ونماء وازدادت بهجة وجمالا ، عادت اللغة من ذلك بالنصيب الجزيل والذكر المحمود .

على أنه لولا التعبير والبيان لما استطاعت الحضارات الإنسانية أن ترفع عن نفسها حجب الخفاء ، ولولا اللغة لتعطلت أداة التعبير ولبقيت الألسن معتقلة وراء الشفاء . فآثر اللغة فى هذه الحضارات أنها أعربت عنها ثم قامت على حفظها مقام الحارم الأمين ، وأنها قبل هذا الإعراب والحفظ مهدت لها سبيل الحياة فأبرزت عناصرها الى الوجود ثم حملتها الى العقول والأفهام ثم صحبتها حتى صارت أركانا قوية ثم أقامت هذه الأركان القوية حتى صارت بناء ضخما .

وأنا لنستطيع بأقل نظر فيما حولنا أن ندرك ما للغة فى شؤون الحياة الاجتماعية كافة من أثر بعيد الغور . فلنسال أنفسنا كيف كانت حال الإنسانية تكون لو أن الناس اخترقوا فى صدورهم من أول الأمر هذه العلوم والفنون والآداب وقواعد المال والأخلاق والاقتصاد ثم لم يجدوا من اللغة معينا على أن يؤديها بعضهم لبعض ؟ وأهون من ذلك فى موضع السؤال أن ننظر الى معلم المدرسة وخطيب النادى ومؤلف الكتاب ومحاضر الجماعة وكتائب الصحافة وكل من يريد أن يعرب عن شيء فى نفسه الى آخرين . فاية حيلة كان هؤلاء جميعا يستطيعون أن ينفذوا بها الى الأذهان والقلوب لولا هذه اللغة التى تجرى بها الألسنة فى الأفواه ؟ ومن وراء هذا العجز المشاهد وهذه الاستحالة الظاهرة باقى الاعتراف بفضل اللغة على الحياة وبوجوب تيسير اللغة وتغذيتها وتمييزها لتتعلق على أحوال الحياة .

لم تكن اللغة قط غاية تراد لذاتها ، ولكنها كانت وستبقى أبدا وسيلة الى التعبير الدقيق والتفاهم الصحيح ، فلا يجوز أن يبقى شيء فى الدنيا بلا اسم يدل عليه بحجة أن أصحاب اللغة لم يعرفوا هذا الشيء ولم يسموه . ومن الخطأ أن نعتبر اللغة أثرا جامدا تجب المحافظة عليه كما تركه صانعوه ، فالعقل البشرى دائم الحركة والتنقل والتقدم وإذا تخلفت عنه اللغة فى الطريق انقطعت الصلة بينها وبينه وتعذر عليها اللحاق به وعجزت عن أن تقوم بالمهمة التى جعلت لتقوم بها وهى مهمة التعبير والتفهم .

ولست أتين وجه الصواب فيما يذهب اليه البعض من أن باب الاجتهاد في اللغة قد أقفل . فأبواب الاجتهاد لا تقفل ولا يجوز أن تقفل والا كان معنى ذلك تقييد العقل الانسانى والحد من نشاطه وهذا أمر لا يقول به عاقل ولا يرضاه قوم يريدون لغتهم على أن تماشى المدنية في ميادين تقدمها ورقمها .

وإني إذ أتكلم عن الاجتهاد لا أعنى التفوضى والاباحة وحكم الجهال وتحرر الأدعياء وما الى ذلك مما يخرج اللغة عن طبيعتها ويحوطها ويقتطع الصلة بين ماضيها وحاضرها ، وإنما أعنى الاجتهاد المنظم في الحدود التي تحفظ كيان اللغة وأصولها . وما أسس مجمع فؤاد الأول للغة العربية الا ليؤدي هذه المهمة السامية ويبانج هذه الغاية العزيرة .

وإذا أردنا أن نخص العربية الشريفة بفضل لا يحجده أصحابها ولا ينكره المنصفون فإنا نأمن اللأئمة حين نقول إنها كانت ولا تزال أسخى وأبر من غيرها ، وإن ما ينسب اليها من القصور ليس صفة لها ولا طبعاً فيها ولكنه صفة أهلها في بعض أزمانهم وطبع الزمن في بعض عصوره . وحسب السباحة أن تلين هذه اللغة على كل لسان وأن تصفو في كل صدر فلا تلبث أن يطلبها الذوق فتجيبه ويستقضيها العقل حاجته فلا ترده ، وحسبها غنى أنها لا تبخل بشيء على مسترقد وأنها تلبى الى أصحابها ما يشاءون كما عادوا اليها يستولدونها كلمات وأسماء لكل جديد تستدعيه منافع الحياة .

ورجاؤنا المنجز الصديق إن شاء الله أن تنزل اللغة العربية عند القائمين على شؤون الإصلاح الاجتماعى منزلة الكرامة والتقدير ، فانهم أغنى بالمعرفة وتنوذاً بالبصيرة من أن يفوتهم أن الناس لا يزالون يرون كل أمة في ضلالة من لغتها .

سدد الله خطى العاملين ، ورزقنا وإياهم نعمة التوفيق فيما نفعل ونعمة الإخلاص فيما نقول .

محمد توفيق رفعت

رجل الإدارة

في ميدان الخدمة الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

”هذه آراء رجل خبر الإدارة وأساليبها، وعرف فضائلها وفنائها،
وأدرك ما يستلزمه رجل الإدارة في ميادين الخدمة الاجتماعية، وجاء يدلي
بنتائج خبرته وتجاريه في هذا المقال المتع البديع“ .

المحرر

رجل الإدارة أكثر موظفي الدولة اتصالاً بميادين الخدمة الاجتماعية، لأنه أكثرهم اتصالاً
بالمجتمع وأعلمهم بمواطن النقص فيه . ولرجل الإدارة بين الجمهور مكانة تختلف عن المكانة
التي يحتلها غيره من الموظفين . ففي الأقاليم ينتهي السلك الإداري إلى منصب المدير، وقبلما
يتصل المحكومون بالمراجع الإدارية العليا في وزارة الداخلية . فالمدير ومعه وسوه هم الهيئة
الحاكمة في الإقليم يملكون من شؤونهم ودعائمه وحاجاته ما لا يملكه الوزير إلا بواسطة
وفي الصورة التي بصورونها . ويستطيعون أن يقدموا لأهل الإقليم من الخدمات ما لا يفكر
فيه الوزير إلا إذا اقترحوه عليه وأقنعوه به . ومن ثم فرجل الإدارة إذا أدرك مهمته الاجتماعية
إدراكاً صحيحاً كان عاملاً في الإصلاح وأداة التعمير ورسول الخير والرحمة للناس .

لقد قضيت من حياتي أربعين سنة في الوظائف الإدارية، وارتقيت سلم هذه الوظائف
من بداية درجاتها إلى نهايتها، فإذا كانت هذه الخبرة الطويلة أوحى إلى شيئا فهو أنه يجب
على رجل الإدارة أن ينأى بنفسه عن الغرور الذي يزين له أنه حاكم باطش قاهر، وأن من عداه
من المحكومين عبيد طائعون أو جند محضرون، وألا يتجاوز في سلوكه مع الناس ذلك الحد
الدقيق الذي يفصل بين الشجاعة والتهور، وبين التواضع والضمه، وبين القصاص والقسوة،
وبين الحلم والجبن . وفي اعتقادي أن هذه النصيحة إن كانت حرة بأن تسدى إلى جميع الناس
على اختلاف مناصبهم وطوائفهم، فرجل الإدارة أحق بها وأولى، لأن أسباب الاستهواء
والإطغاء تتراحم حوله : فمن الناس ضعفاء يخشون سطوته فيخشعون بين يديه ويذلون،
ومنهم متملقون يوهمون أنه بلغ الذروة في العلم والخلاق والجاه والسلطان، ومنهم أغنياء
ذوو مصالح وحاجات يتغنون إليه الوسيلة بإهداء الهدايا ومد الموائد وتهيئة أسباب التسلية
والمتاع، وتلك رشوة مستورة وشراء للذمة مقصود وإن صيغ في قالب الصداقة والتودد،
ومنهم أشرار يثيرون بجرأتهم وإبغرامهم غضبه وقد يخرجونه عن طوق الحلم والأناة .

وهكذا تصطلح على رجل الادارة عوامل الافساد فلا يعصمه منها إلا اليقظة و ضبط النفس
وكبح الشهوة والشعور الدائم بأنه من المجتمع واليه ، وبأنه إن كان حاكما في مكان فإنه وعشيرته
وأهله محكومون في مكان آخر ، فهو مسئول أن يعطى محكوميه من العدل والبر والخدمة
الصادقة ما يريد لنفسه وأهله من حاكمهم .

وإذ كان السلك الادارى في الأقاليم كما قدمت ينتهى الى المدير ، واذ كان المدير أرفع
موظفى الدولة في إقليمه منصباً ومرتباً ، وأوسعهم نفوذاً وأكثرهم جاهاً ، فان عليه من
الواجبات الاجتماعية ما لو نهض ببعضه لأدى الى محكوميه أنفع الخدمات .

فهو يستطيع بوسائله وبكاسته وحسن تصرفه أن يجعل نفسه راعياً لأسرة الموظفين ،
مهما تختلف الوزارات التى يثمنون اليها ، ومرشداً ومسترشداً ، ومعيناً ومستعيناً .

نعم إنه ليستطيع أن يترجم الجميع ويفيد بجهودهم إقليمه أحسن الفائدة وأعماها وأسرعها .
ولا خير فى استغلال كل فريق من الموظفين الإقليميين بتفكيره وأعماله ، بل الخير فى التساند
مادامت الحكومة كلها شخصاً معنوياً يقوم على خدمة الشعب .

إذا نصح المدير أو المحافظ فى أن يجعل منه ومن رئيس النيابة ومفتشى الرى والزراعة
والتعاون ومأمور الأوقاف ومدير التعليم أو رئيس المنطقة التعليمية ومفتشى صحة المديرية
وغيرهم من ممثلى الجهات الحكومية أسرة تتشاور وتتأزر فى شؤون الإقليم ، سواء فى الزيارات
المتبادلة أو فى المجالس الخاصة أو فى اجتماعهم بنادى الموظفين ، فان سائر الشؤون الاجتماعية
تكون قد حصرت فى أيد متشايكة متضافرة ، وفى عقول متقاربة متجاورة ، وينتهى جهدها
حتماً الى خير الإقليم وإسعاده .

وقد استطاع كثير من المديرين بمكائهم عند الجمهور أن يفضوا المنازعات ، ويطفئوا جذوة
الخصومات . كما استطاع آخرون أن يجعلوا من المجالس البلدية أو مجالس المديرية التى
يرأسونها قوى للبناء والتعمير . وكل قد رأينا من المشروعات العامة كالمكتبات والمتنزهات
والملاجئ والمدارس ما نهضت به هذه المجالس وكانت الموحى بها هو المدير . ومهمة المدير
لا تقتصر على الإيحاء ، إذ هو لا يكفى فى كثير من الحالات حيث تكون المدينة أو المديرية
بعيدة عن مراكز الحضارة . فان الأعيان الذين يحظون بالنيابة عن مثل هذه المناطق يحتاجون
الى أكثر من الإيحاء . ولذلك رأينا أثر النشاط الذى يبديه المدير أو المأمور فى اصلاحات
كثيرة لم تكن لولا الإيحاء تتلوه المنابر النشيطة فى حمل الأعضاء على قبول المقترحات
وتنفيذها . ولنا بذلك نقص من قيمة نشاط الأعضاء فى مجالسنا المحلية ولكن الاختبارات
السابقة أثبتت أن للمأمور النشط قوة التوجيه للكثير من هذه المجالس .

وكذلك الأمر في إنشاء المؤسسات الخيرية . فان رجل الادارة يمكنه أن يقترح وأن يقود الحملة للتبرعات . ذلك أن الأعمال الخيرية إنما يقصد منها تخفيف الأعباء التي لا يستطيع أن يتحملها المحتاجون إليها . ورجل الادارة أعرف الموظفين بهؤلاء المحتاجين .

والمدير يرى في إقليمه التمثل والفقر والمرض والتسول ويقف بنفسه على آثارها السيئة ففي مقدوره أن يحل الأغنياء والموسرين على إقامة الملاجئ والمستشفيات ، وأن يدبر العمل للعاطلين . وقد يقال إن هذه الأعمال يجب أن تكون ثمرة لمجهود الحكومة ، والحقيقة أننا اعتدنا أن نقول هذا القول مع أن أعظم المبررات إنما قام به الأبرار في أوروبا وأمريكا بجهودهم الفردية قبل أن تتولاها الحكومات . ولا يقل أثر رجل الادارة في الريف عنه في المدن ، بل لعله يزيد . وفي مثل ظروفنا القومية الحاضرة وما تضطر اليه الحكومة من القيام بتكاليف خطيرة يجب أن يستعين رجل الادارة بأفراد الجمهور وبأموالهم على سائر الأعمال والمنشآت الإصلاحية . ولا نستطيع أن نتهم جمهورنا بالبخل ، لأن الحقيقة أننا لم نسبر مدى ما في نفوس الناس من خير ، ولكنا نرى أعياننا وأغنياءنا يتفانحرون بالاسراف في الأعراس والمآتم ، وينفقون المال جزافا على الحفلات والمظاهر الزائلة . وهم إنما ينبعثون الى هذا الإسراف باعتقاد أنه ضرب من الشهامة والنخوة والأريحية ، ويطلبون به الكرامة والاحترام عند أبناء وطنهم . فاذا استطاع المدير أو المأمور أن يقنعهم بأن الكرامة والاحترام إنما يكتسبان بالعمل الباقي المثمر ، والمبرة النامية المفيدة فانه يستطيع أن يملأ إقليمه أو مركزه بالمؤسسات الخيرية سواء في المدينة أو الريف .

والى جانب هذا يمكن لرجل الإدارة أن يعمم حركة التعاون . فان جميع الذين درسوا مسائل الفلاح يجدون أن التعاون هو الوسيلة العاجلة الوحيدة في الوقت الحاضر للإصلاح الريفى . وكل ما تحتاج اليه جمعية التعاون هو البدء في تأليفها مع القليل من المال . وليس البعد شاقا إذا كان رجل الادارة يقترح المشروع ويساعد على جمع العدد اللازم من الفلاحين المستأجرين أو المزارعين المالكين ويدعوهم الى تأسيس الجمعية بعد أن يبين أغراضها ويشرح الفوائد العظيمة التي تعود على جميع الأعضاء منها بل على جميع سكان القرية . وكثير من الريفيين في مصر يجهلون فوائد التعاون ، بل منهم من لم يسمع به . ولوعرفوا حقيقته لسارعوا الى تأليف الجمعيات التعاونية ، ولأدى ذلك الى نهضة اقتصادية زراعية عمرانية تملأ البلاد رفاهية ورخاء .

ورجل الادارة هو اليد اليمنى للنياحة العامة . وهو أحيانا يصل الى ما لا يصل اليه المحققون من دقائق الحوادث الجنائية وأسرارها . كما أن الموبقات والمفاسد التي تنفث في بيئته تجدد منه دراية بتفاصيلها وأسبابها . ومن الحسن أن نستغل فيه هذه الميزات وأن نطلب اليه

الإدلاء بأرائه في جميع المشروعات العامة التي تقصد منها إلى الترفيه عن الطبقات الفقيرة والمحرومة ، ويجب أن نعترف بأن مركزه يتيح له الوقوف على كثير من الحقائق التي نجعلها في كل شأن يتصل بالخير العام .

وإني لا أغتبط إذ أرى وأقرأ من أخبار المديرين والمحافظين في هذه الأيام ما يدل على فهمهم هذه الآراء واتجاههم هذه الوجهة ، وأن أجدهم يشغلون أنفسهم بتخفيف آلام المتألمين من العمال والفلاحين . فمنهم من يقدم إلى الحكومة اقتراحات تتعلق بتسوية ديون المدينين المهددين في أراضيهم وبيوتهم ، ومنهم من تفاهم مع مديري المحالج والمصانع على أن يقدموا مجاناً إلى العمال طعام الغداء مرة كل أسبوع ، ومنهم من يقيم أندية للألعاب الرياضية خاصة بهذه الطوائف الفقيرة ، يراد بها خدمة أجسامهم بجانب الخدمات الأخرى التي تؤديها وزارة الصحة .

ومن أولئك المديرين والمحافظين من وضع نظاماً لتحسين التعليم الإلزامي وجعله "إقليمياً" بمعنى الكلمة ؛ بحيث يتعلم أطفال كل قرية ما امتازت به قريتهم من صناعات خاصة كالنسيج أو صنع السجاد والأحذية أو غير ذلك ، مع تدبير حياة الخريجين بعد تخرجهم ، إما بإيجاد أعمال لهم ، وإما بإحالتهم إلى مدارس أرقى وأكفل لمستقبلهم .

ومنهم من حضن مرعوسيه من المأبوسين على أن يعملوا بمساعدة الأعيان والناهبين المجالس القروية والجمعيات التعاونية والمتنزهات الصغيرة ومضخات الحريق والأجهزة البسيطة الصنع التي تخرج ماء صالحاً للشرب ، ولا تكلف الناس باحظ النفقات .

ومنهم من رق لحالة الألواف المؤلفة من حفاة الأقدام ، فابتكر لهم نعالاً رخيصة متينة يصنعونها بأقدامهم ، ويحفظون جسامهم مما تجلبه الآفات التي تصيب القدمين من أمراض وعمل .

وهكذا يستطيع رجل الإدارة أن يتكرويملاً الحياة الاجتماعية نشاطاً ونفعاً ، وليس أحد أوفر منه حيلة ووسائل ، وأبرك ثمرات ومنافع ، إذا خلصت نيته وصدق اتجاهه إلى الخدمة الاجتماعية .

هذه الأمثال التي ضربناها تفسح الطريق أمام من لا يزال يمال أين الطريق ، ولعلنا عن قريب ، لنجد بين رجال الإدارة من يقصر همه ومنصبه على أن يتلقى الأوامر من الرؤساء ليلقي بها إلى المرعوسين ، أو من يحسب أن الموكب المحفوف بالحاشية والاتباع ، والحقل المونق المفعم بظواهر التكريم وخطب التمجيد هما كل اختصاص المنصب وكل ما يهم الحاكم والمحكوم .

على جمال الدين

الأضحية والقرايين

عند مختلف الأمم وفي شتى الشرائع

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافي

مدرس العلم الاجتماعية بكلية الآداب

يدلنا البحث في نشأة الأديان وتاريخها على أن فكرة التقرب للعبودات بتقديم الأضاحي والقرايين ، واتخاذها براقا تصمد عليه رغبات عالم الأرض ومخاوفه الى عالم السماء ، والتوسل بها لحرما تبغيه الأفراد والمجتمعات من منافع ، ودفع ما يهددهما من أضرار ، كل أمر لك قد نشأ مع الانسانية ، وظل ملازما للتفكير الديني في مختلف مراحلها ، وسيظل باقيا ما دامت العقائد والعبادات . فلم يخل من هذه الشعيرة دين من الأديان ، ولم تمر منها حياة شعب من الشعوب . جاءت بعبادات الطوطميين والمجوس والوثنيين والعباشة والمسانوية وعبدة الكواكب والحیوان ، كما جاءت بشرائع الموحدين من اليهود والمسلمين . نثر عليها في أبسط مظاهر الدين وأكثرها اضطرابا ، كما نصادفها في أرق أشكاله وأشدّها دقة وإحكاما . ولا أدل على قدمها وعموم انتشارها من الكلام عنها بجميم أسفار " العهد القديم " ومن أن القرآن الكريم يحدّثنا عن شكل من أشكالها جرى العمل به في عهد أبي البشر نفسه إذ يقول : " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . . الآية " .

وقد جرّت هذه العبادة الدموية على بني الانسان كثيرا من المصائب والويلات . فكم أثكلت أمهات ، وأيمت أطفالا وأيمت نساء ، وكم ذهبت في سبيلها أرواح بريئة طمعة للثيران وغذاء للسماك . وكم حانت الآباء على تقديم آبائهم قربانا لمذاييع اللادوت وإزهاق أرواحهم بأيديهم . وكم دعتهم الى وأد بناتهم وإغراقهن ابتغاء مرضاة الآلهة . وكم دمرت من مدن وقضت على شعوب .

وذلك أن الضحايا في أقدم أشكالها وعند طائفة كبيرة من الأمم الممجيّة والمتحضرة كانت تقدم من بنى الإنسان على اختلاف في نوعها باختلاف الأمم والشرائع، وتبعاً للأحوال المحيطة بالتقدمة والأسباب الداعية إليها . فقد كانت أحياناً من الإناث، وكانت تارة من الأطفال، وتارة من الشبان والشيوخ . غير أنه يظهر من استقراء هذه الحالات عند مختلف الأمم وفي شتى مراحل التاريخ أن معظم الضحايا الإنسانية كانت تقدم من طائفتين : من الأطفال ذكورهم وإناثهم (ولا سيما أول من يولد منهم لأبويه) . ومن البنات الأبقار . ويظهر كذلك أن معظم من كان يضحي به من غير هاتين الطائفتين كان يؤخذ من أسرى الحرب والأرقاء والمذنبين . غير أنه في أحوال غير قليلة كانت الضحايا تقدم من طبقات راقية من الشعب . فكثيراً ما قدمت أمم ملوكها أنفسهم قرباناً لمعبوداتها .

وإذا لاحظنا أن المناسبات التي كانت تقتضى التضحية كثيرة الحدوث والتكرار ، وأن الإحجام عن التضحية عند وجود ما يقتضيها كان - في نظر هذه الأديان - شيئاً إذا تنفطر منه السموات ، ويشير غضب الآلهة ، ويصيب نكاله جميع أفراد المجتمع الذى حدث فيه التقصير ، إذا لاحظنا هذا سهل علينا أن ندرك كيف كانت هذه العبادة ، في أقدم أشكالها ، عاملاً لإحرام ودمار ومصدر مصائب وويلات . وحسبنا دليلاً على ذلك أن قبائل "الأزتك" وحدها (وهم السكان الأصليون لبلاد المكسيك) كانت إلى عهد غير بعيد تقدم من الضحايا الإنسانية ما يبلغ عدده خمسين ألفاً كل عام .

غير أن ارتقاء التفكير الدينى ، وإصلاح ما علق به في مراحل الأولى من خطأ في فهم الآلهة وصفاتهم وما يتطلبه رضاهم ، ونزعة المجتمعات إلى تزويد معبوداتها عن القسوة والتشقى ومن الحاجة إلى ما يقدمه إليهم بنو الإنسان وجعلهم أغنياء عن العالمين ، واتساع نطاق العلوم وانتشار الشرائع السماوية والكتب المقدسة ... كل أولئك قد عمل على احترام الحياة الإنسانية ، ففضى على هذا الشكل الوحشى من التضحية وامتبدل به أشكالاً أخرى لا تنبؤ عن الخلق الصحيح ولا تتنافر مع مقتضيات العمران .

عندئذ ظهرت التضحية ببعض أنواع الحيوان كالبقرة والغنم والمعز ، وبعض أنواع الطيور كالديك والإوز والبط .

وظهرت أنواع أخرى من القربان لا تقتضى إهراقاً للدم كالقرب بما يستخرج من الحيوانات والقرب بالنباتات كالحنطة وسنابل القمح والدقيق الممزوج بالزيت ، والقرب بما يصنع من النبات كالخبز والفطير .

وقد كان لظهور الزراعة أثر كبير في هذا التطور . فقد هذبت الزراعة كثيرا من أخلاق الإنسان وطباعه . فبفضلها كثرت كميات غذائه النباتي وقل مقدار استهلاكه من اللحوم . فزالت وحشيته واعتدل مزاجه ، وهدأت طباعه ورقّت مشاعره . فاستبدل بكثير من تقاليده الدموية وعقائده الوحشية الأولى نظما أخرى أدنى إلى الإنسانية وأقرب إلى مقتضيات العمران . ولذلك أخذت القرابين الإنسانية والحيوانية تقل شيئا فشيئا بعد ظهور الزراعة ، وتحل محلها القرابين النباتية المؤلفة من سنابل الغلال والخبز والفطائر وما إلى ذلك . فأصاب غذاء الآلهة وطباعها من أسباب التهذيب والرقى ما أصاب غذاء الأناسي وطباعهم ! .

وظهر كذلك نوع غريب من التضحية وهو التضحية الصورية كالتضحية بالنماثيل والصور الإنسانية (وقد انتشرت هذه العادة عند كثير من الأمم القديمة والحديثة) ، وكل هراق الدم من عضو من أعضاء التضحية دون القضاء على حياتها (وقد اتبع هذا النظام في كثير من معابد قدماء الإغريق وبخاصة معبد الإلهة أرتميس) ، وكالاكتفاء بأعمال تمثيلية تشير إلى ما كان يعمل قديما : فعند بعض قبائل الهنود الحمر مثلا كان يكفي في التضحية عقب وفاة الزوج ، بأن يؤتى بكومة حطب وتشعل النار فيها ، ويؤتى بزوجة المتوفى وتمتد على هذه الكومة وتظل كذلك حتى يقرب اللهب منها . وكالتضحية بنخيل الإنسان : فبعض شعوب البلغار ، عند ما يشرع الواحد منهم في بناء جديد ، يترقب أول ما زيجوار البناء فيقيس ظله بنخيط ويضع هذا النخيط تحت أول حجر يوضع في العماره ، ويعتبر هذا تضحية . ويزيد لديه هذا الاعتبار قوة أنه يعتقد أن صاحب هذا الظل لا بد أن يموت عما قليل . وهذا هو أغرب أنواع التضحية ، ولا يختلف في دلالته عن النوع السابق : فكلاهما تمثيل لتضحية إنسانية كانت متبعة قديما .

وقد اختلفت الضحايا والقرابين فيما يتعلق بأساليب تقديمها ، كما اختلفت فيما يتعلق بنوعها . غير أن أشهر هذه الأساليب وأكثرها انتشارا في الأمم هو تقديم التضحية إلى الآلهة بإلقائها جميعا أو بعض أجزائها في النار وانتشار الدخان المنبعث من حرقها في أرجاء المذابح والهاياكل المقدسة وتصاعد رائحتها " التي تعجب الآلهة " (كما تقول التوراة) في طبقات الفضاء . وهذه الطريقة وحدها هي التي أقرها " العهد القديم " في جل أنواع القرابين ، حتى في قرابين النبات وما يصنع منه كالذبيق والفطائر ، كما تنبص على ذلك الإصحاحات الأول والثاني والسادس والسابع وغيرها من سفر اللاويين الذي جاء معظم آياته وقفا على بيان أنواع الضحايا وأحكامها وأوقاتها وكيفية تقديمها . ولا غرابة في ذلك ، فإن هذا السفر قد جاء لبيان وظائف اللاويين (أفراد قبيلة من قبائل بني إسرائيل ، وتآلف من

أولاد لاوى أحد أبناء يعقوب) وتفصيل حقوقهم وواجباتهم نحو بقية قبائل اليهود . وأهم الوظائف التى نيطت بهم كانت تتمثل بالإشراف على المذابح وأعمال التضحية وتقبل القربان وتقديمها .

ومن طرق التقديم كذلك طريقة الاكتفاء بالذبح وإهراق الدماء . وهى الطريقة التى أقراها الإسلام فى الأضحية والهدى وذبائح التكفير لإغفال نسك من مناسك الحج أو عدم التمكن من القيام به لعذر أو إحصار ونحو ذلك .

ومنها طريقة الواد ، وهى دفن الضحية حية . وقد اتبعت هذه الطريقة عند شعوب كثيرة منها بعض قبائل العرب فى الجاهلية . فإن وأد البنات الذى انتشر بين قبائل طيء وتميم وربيعة وكندة لم يكن فى الحقيقة إلا شكلا من أشكال التضحية لأسمائهم ومعبوداتهم ، كما حققت ذلك فى مقال لى بالفرنسية نشر بمجلة L'Egyptienne (انظر عدد يولييه سنة ١٩٣٢ صفحة ٢٥ وتوابجها) .

ومنها كذلك طريقة إغراق الضحية فى الأنهار المقدسة (كما جرت العادة عند قدماء المصريين) وطريقة خنقها ، وطريقة سذفها بالطين ، وطرق تعذيبها بمختلف الوسائل ، وطريقة إلقائها من شاذق ، وطريقة اتحارها عن اختيار منها بترديها من قمة عالية... وهلم جرا .

”

أما المتقرب إليهم ، فباستقرار هذه العبادة عند مختلف الأمم وفى شتى الشرائع يظهر أنهم لا يكادون يتجاوزون الطوائف الآتية :

(١) الآلهة على اختلاف أنواعها مع تفاوت بينها فى مقدار الحرص على هذه العبادة . وأشدّها رغبة فى القرابين النار عند المجوس والكواكب والأنهار عند عابديها .

(٢) القديسون والأولياء . وقد انتشر التقرب إليهم بالقرابين عند أمم كثيرة . ولا يزال العامة ببلاد الصعيد وغيرها من بلاد القطر المصرى يئذنون الضحايا ويقدمون الذبائح لمختلف الأولياء ، ولا سيما السيد أحمد البدوى الذى تنذرله بالقرى المتسرية عجول تسمى عجول السيد تربى بعناية بالغة وينزلها الفلاحون منزلة تقرب من منزلة القديس ويحجون بها إلى طنطا عند اقتراب مولد السيد البدوى ليذبحوها أمام ضريحه . وغنى عن البيان أن أعمالا كهذه لا تقرها شريعتنا الغراء .

(٣) أرواح الموتى . وقد انتشرت عادة التقرب للوتى بالضحايا ابتغاء مرضاتهم وخشية غضبهم على الأحياء عند طائفة كبيرة من الأمم الانسانية قديما وحديثا ، وبخاصة قدماء المصريين . ومن الغريب أن آثار هذه العادة ظلت باقية إلى عصرنا الحاضر . فكثير من المصريين عوامهم وخواصهم في عصرنا الحاضر يرى من الضروري أن تذبح ضحية أو ضحايا من العجول أو الخراف أو كلبها تحت نعل الميت عقب خروجه من منزله إلى حيث يوارى التراب . ومن الواضح أن هذا أثر من آثار الشرك يتعارض كل التعارض مع مبادئ ديننا الحنيف .

(٤) الملوك والزعماء السياسيون والدينيون . وقد سادت عادة التقرب إليهم بالضحايا والقرايين في بعض الشعوب الممجيبة على الأخص .

هذا وقد كان يعتقد قديما أن المتقرب إليهم يستفيدون ماديا من الضحايا والقرايين . فقد ساد الاعتقاد عند بعض الأمم أن الآلهة تنفع في غذائها بلحوم الأضاحى أو بلحوم بعض أعضائها . ولذلك يحرم عند هذه الأمم أكل الناس منها جميعها أو بعضها . واعتقد بعض الشعوب التي كانت تقدم الضحايا الانسانية قربانا للآلهة والموتى أن المتقرب إليهم يتخذون من هذه الضحايا عبيدا وخداما يسخرونهم في قضاء حاجاتهم . ووصمت بعض الأمم أهلتها بصفات القسوة وحب الدماء والتلذذ بمنظر إزهاق الأرواح . فكانوا يقدمون إليها الضحايا تهديفة لهذه الميول الدموية ، وإتقاء لشرها وتأمينا على حياة الجماعات .

وقد قضت ديانات التوحيد على كل هذه الأساطير ، وجعلت التضحية مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله وشكره وامتنال أو امره ، والإحسان للفقراء ، والبر بالمساكين . وإلى هذا يشير قوله عز وجل ” فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير “ وقوله أيضا ” لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم “ ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين “ .

على عبد الواحد وفى

مباح الحياة

عنصر أصيل في الإصلاح الاجتماعي

بقلم الأديب الأستاذ سيد قطب

هذا بحث طريف في مباح الحياة التي تنفص المجتمع المصري . وقد استطلع الكاتب الفاضل أن يعين مكان الداء كما استطلع أن يصف الدواء في رشة وفطنة وذكا . ونحن نغف قراءنا بهذا البحث الطلل المنع الذي تطلب عليه روح الحظ والظيرة رجاء أن يجدوا فيه علاجا لحالة الكتابة العامة التي تنشئ مجتمعنا المصري المحرور

نحن في حاجة الى حفظ كبير من الفرع ، لأننا في حاجة الى حفظ كبير من الحياة والى حفظ كبير من سلامة الفطرة وصحة الشعور ، وهما أكبر مقومات الحياة . وحظنا نحن المصريين من الحياة الحقيقية ضئيل ، لأن حظنا من الفرع ومن المباح الفردية والاجتماعية ضئيل .

ولنما يصح هذا القياس ، لأن الفرع الانساني ظاهرة نفسية وعقلية تقابل في الحيوان ظاهرة القفز والوثب ، وفي الطير ظاهرة المسسقة والغناء ، وفي النبات ظاهرة التفتح والازدهار ، وهذه الظواهر جميعا دليل الحيوية والصحة في الأحياء .



ولكن أى أنواع الفرع نحن في حاجة اليه ؟

انه لا يعنينا الفرع الحيواني الذي مظهره التهريج ، ولا فرح اليا من الذي مظهره المجنون . وإنما أسمينا هاتين الظاهرتين فرحا من قبيل التجوز في التعبير . فالفرح — كما قلت — ظاهرة نفسية وعقلية . وبهذا يخرج من الحساب ذلك التهريج الظاهر في حياتنا العامة ،

كما يتفرج من الحساب ذلك المجنون الظاهر في حياتنا الفردية ، لأن عمل النفس والعقل فيهما ضئيل ، ولأنهما يختلفان في مبعثهما اختلافا جوهريا عن مبعث الفرح الصحيح ، ويلبسان من منبع أبعد ما يكون عن نبهه الراق المعين .

ينبع الفرح الانساني من الطلاقة والتحرر من قيود الحاجة والضرورة ، هذه القيود التي تقرب الانسان من الحيوان في خضوعه للضرورات ، وينبعث من الشعور بالاكفاء وبعنصر زائد عن هذا الاكفاء ، وهو الفضلة المندخرة من القوى الداخلية في النفس بعد أن ينفق منها الفرد أو الجماعة ما يقوم بالحاجات والضرورات .

فن أين ينبع التهرج وينبعث المجنون ؟

ينبع التهرج في حياتنا وحياة الشعوب والأفراد من منبع الضغط على اختلاف ألوانه ، لا من منبع الحرية ، فهو ثمرة للكبت لا للطلاقة . وينبعث المجنون سخطا على الحياة لا رضى عنها ، واستهانة بها لا اعترازا بقيمتها ، واصغارا لشأن الكون لا إكبارا لما فيه من معة أو جمال .



نحن في حاجة اذن الى حظ من الفرح الانساني الراق ، لأننا في حاجة الى حظ من الحياة الصادقة والتطورة السليمة .

ولكن أهذا كل ما ينقصنا من ألوان الفرح ؟

الواقع أن حظنا كذلك ضئيل حتى من الفرح الحيواني الذي يدل على سلامة البنية وصحة الشعور واكتفاء الروح . والحرمان من هذا اللون ربما كان أخطر وأوغل في العلة ، لأننا بهذا الوضع لا نرتقي في سلم الصحة حتى إلى مرتبة الحيوان !



والآن . لسأل كل منا نفسه : كم مرة يضحك في اليوم أو الأسبوع أو الشهر ضحكة مشرفة مبعثها الشعور بالفيض النفسى الزاخر وبالطلاقة الحرة والتخفف من قيود الحياة ؟

بل لسأل نفسه : كم مرة يضحك في اليوم أو الأسبوع أو الشهر ، ضحكة مبعثها الحيوية الجسمية والشعور براحة البدن واكتفائه وخلوه من العوائق والمنغصات ؟

ثم تعالوا ندخل البيت المصرى فى المدينة ، فماذا نحن واجدون فيه من مباح الحياة المنزلية ، ومن مظاهر المرح المشتركة ، بل من مظاهر المشاركة الوجدانية فى أبسط صورها بين أفراد المنزل الواحد ؟

ولنذهب الى الريف الحزين المظلم الأرجاء ولنبحث عن مظاهر الفرح هناك : فى أى مكان . أنحن واجدون منها شيئا ولا سيما فى هذا الزمان ؟

لقد كانت للريف المصرى مباح كثيرة قبل نصف قرن ، ولقد بقى منها أنر الى ربع قرن ، وكان أهمها حفلات سباق الخيل وألعاب العشا ، ومواسم الحصاد ، كما كان الريف يعد له متفصا فى ليلالى رمضان الساهرة وفى الموالد المنيرة . أما اليوم فقد طمس الفقر والإعباء على كل مظاهر الابتهاج .

ثم لننظر بعد المدى بين مباح عيد الميلاد وعيد رأس السنة الميلادية عند القليلة من الأجانب الحاليين فى ديارنا وبين مباح أعيادنا التى تشترك فيها الملايين ، ان صح ان هناك مباح فى هذه الأعياد .

ولنوازن بين مباح الحياة المنزلية فى البيوت القليلة المتناثرة بيننا للزلاء وبين ذلك الكد المكثوم ، والنفرة الموحشة فى أرجاء بيوتنا المصرية الكثيرة .

اننا نقضى أعيادنا على المقاهى نتطلع فى شبه زهول للرائحات والغاديات . والعيد القومى الوحيد الذى نحاول أن نبتهج به وهو عيد الربيع "شم النسيم" نهبط فيه الى الاستهتار الماكن لأننا لم نعرف بعد كيف نفرح فرح الآدميين .

ان هؤلاء الافرنج يفرحون كثيرا لأنهم يعملون كثيرا وينتجون كثيرا ويشعرون بقيمة الحياة فيتطلعون الى مثل عليا تملأ فراغها وترفع مستواها ويحققون كثيرا من هذه المثل . . . يفرحون أما نحن فلا نفرح لأننا لا نعمل ، واذا عملنا فبغير حمية ولا إقبال ولغير ما غاية مرسومة ولا ايمان بالحياة .

وكما يصح هذا القول وذاك يصح عكسهما تماما : فهم يعملون بعد لأنهم يفرحون ، ونحن نعمل فى سأم لأننا مكتئبون .

ويوم نعرف كيف نفرح فرحا حقيقيا سنعرف كذلك كيف نعمل عملا جديا فنذكر يومئذ قيمة الحياة ولذة الطموح .

لهذه الكتابة الغاشية في مصر أسباب كثيرة أهمها : الوراثة التاريخية وسوء فهم التعاليم الدينية ، وفقدان الاستقلال حقبة طويلة ، ومحطة الإذاعة اللاسلكية ، والفقر والظلام ، واحتجاب المرأة الفاضلة عن المجتمع المصري ، وطابع الحزن الذي يغلب على الحاننا وأغانينا والتفكك العائلي والاجتماعي ونقص وسائل التسلية .

وبعض هذه الأسباب لا حياة لنا فيه ، ولكن بعضها من صنع أيدينا وفي استطاعتنا إزالته أو تخفيفه ، فلنأخذ في شرح هذه الأسباب شرحا مختصرا إذ كان الحدث المنفصل يستغرق رسالة مطولة ، لا فصلا في مجلة .



الميل الى الحزن والاسترسال فيه ظاهرة بارزة في حياة مصر القديمة ، فالتفجع على المولى وطول مدة الحزن وشناعة مظاهره وبروز معالم الحداد ، كل هذه حالات ملموسة في حياة أجدادنا زمن الفراغة وقد ورثناها عنهم ولا زلنا نعاك هذه الأحران في الريف طلكا كلما مات لنا عزيز ، ونستمع بالنادبات على إذكاء الأوعية والأشئ في النفوس ، ونبالغ في لبس السواد ونحافظ على كل ما يذكرنا بأننا في محزنة وفي كل ما يسبق علينا لباس الشجن والكتابة كأننا راغبون رغبة مقصودة في هذا الشعور .

ثم نعود الى احتفالات القدماء بالاعیاد والمواسم ، والى أغانيهم في هذه الاحتفالات ، فنرى أنهم يحرمون على تذكر الموت والموتى كلما استخفهم عوامل الفرح أو خافوا أن يستخفهم ، فمع عظيمة الاحتفال بالحياة في "طيبة الأحياء" إبان الاعیاد لم يكونوا ينسون أن يحتفلوا عقبها بالموت في "طيبة الأموات" على الضفة الأخرى للنيل ، وهكذا كانت أناشيدهم بالفرح ، لا تغلو من شارة للموت ومن طابع للحزن .

وها نحن أولاء على ستمهم نزور موتانا في الأعياد ونحيي أول أيام النید بين القبور ! وما من شك أن لهذه الوراثة أثرها في اكتئابنا الحزني الذي قد تخفيه ضحكة الاستهتار أو ضحكة التسلية التي تراها في الوجوه فتحسبها تابع من منبع الفرح الأصيل .

ولكننا أسوأ حالا من القدماء ، فقد كان لهم من العزة القومية ومن فتوة النشوء ما يجعل فرحهم ولو في ساعات قصيرة فرحا حقيقيا ، أما نحن فقد ورثنا الكتابة ولم نرث الشبي الآخر في حياة القدماء .



ومصر الإسلامية التي قامت على مصر الفرعونية لم تنس أديانها وتقاليدها القديمة وقد اندس الكثير من القديم في الجديد وضاع في طياته ، ولكنه ترك أثرا بارزا ، ومن هنا أسانا فهم بعض التعاليم الدينية الإسلامية متأثرين بطبيعتنا الأصلية واختارنا منها ما يناسب هوى هذه الطبيعة ، مغفلين الجانب الآخر من تلك التعاليم .

فالدين في وهما لا يناسب المرح والبهجة ، ولا يتفق مع الاحتفال بالحياة والتهنيؤ لها والاعتداد بها . ولكننا لا نلتقي إلا الى قول القرآن " ولا تنس نصيبك من الدنيا " وقوله " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد " .

وما كان للقرآن ، وهو دستور اجتماعي للحياة أولا وقبل كل شيء ؛ أن يفضل مثل هذه الدعوة إلى التمتع بالحياة والاحتفال بزيتها بجانب دعوته إلى عدم الاسراف في الاعتداد بها . لأن أهم ظاهرة في الإسلام هي الاعتدال والموازنة بين العناصر المختلفة الضرورية للحياة الفاضلة .

على أن الإسلام ليس ديناً جامداً ، إنما هو دين مرن يحتمل السير به في مختلف الأحوال . فإذا كان هذا الدين في نشأته قد واجه قوما يعترفون بأبائهم واجدادهم ويتفانرون بأموالهم ووجاهتهم فأصغر من شأن هذه المظاهر ، ودعا دعوته إلى تصغير الحياة الدنيا ليوجد الاعتدال والاتزان في نفوسهم ، ويهيئها للتغير والهدى الذي جاءهم به فتحن اليوم في دور قد استهنا فيه بالحياة وأصغرنها قيمتها ، فأصبحنا بحاجة إلى قسط كبير من احترامها لترتفع بها عن مستوى الاستهتار الذي تلج فيه ، ولنقوى أنفسنا في عصر القوة وإلا فإذا يدعونا إلى العمل والجهد إذا اختقرنا الحياة واستصغرننا شأنها ؟

وهذه تبعة ثقيلة ملقاة على عاتق رجال الدين وعلى الوعاظ منهم بشكل خاص ، فمساهم يغيرون نعمة الأسى المصطنع ، وينسون مؤقنا ازدياء الحياة والخط من شأنها في هذه الظروف .

ومتى أحببنا الحياة واحترمناها وجدنا في نفوسنا عناصر كثيرة للفرح الانساني الأصيل .



ولم تكن الوراثة التاريخية والتقاليد لترك مثل هذا الأثر العميق في نفوسنا ؛ لو لم تكن الحياة علينا لسبيين أساسيين ، هما فقدان الاستقلال ودحا طويلا من الزمان ، وسوء الحكم الذي ترتب على هذا فقدان . فلقد كان الأول آفة العزة القومية ، وكان الثاني آفة العزة الفردية ، ومتى سلب الإنسان نعمة الشعور بهاتين العزتين فقد سلب نعمة الحياة الطليقة وانحط مستواه النفسي إلى ما يقرب من عالم الحيوان .

وقتي قلنا إن الفرح الانساني ينبع من الطلاقة والتحرر من القيود ، أدركنا ما سبق
للصري من هذا الفرح بعد أن يذكر أنه فقد احترامه الدولي واحترامه الفردى حتما طويلا من
الزمان . وقد نبعت النكتة المصرية المشهورة من منبع الكبت والضغط ، للتنفيس والترويح
عن النفس المكبوتة من كل جانب ، وكانت في أحيان كثيرة نوعا من المقاومة للحكام ، إذ كان
الشعب المغلوب على أمره يتسلى بتوجيه النكات إلى حكامه ، ويرضى نفسه بعض الارضاء
بهذه المقاومة المأمونة .

فليست النكتة المصرية إذن إلا مظهرا للكمد المكتوم لا للفرح الطليق .

والآن وقد زال هذان السببان — والحمد لله — فيجب أن نجتهد في تمكين الاعتزاز
بالاستقلال والحرية الشخصية ما استطعنا ، لنستطيع أن نحى هذه النفوس الذابلة ، ونطلقها
تروح مرح الأحرار من الآدميين .



ولقد ساعد هذه العوامل المتقدمة ومكن لها عامل آخر أشمل منها جميعا ذلك هو الفقر
الذى ينوء به كاهل ثمانين في المائة على الأقل من أفراد الشعب ولن يجتمع الفقر والفرح رغم
كل ما يحاول الشعراء أن يخيلوه من سعادة في حياة الفقراء .

الفقر كمد وحن ومداة إلى الكمد والحزن . هذه حقيقة لا سبيل إلى المكابرة فيها ، ولن
يستطيع الفقير أن يخلو إلى الفرح وهو جائع مريض مكدود ، فالحيوان نفسه لا يرتع أو يقفز
وبطنه خواء .

فكل محاولة لإغناء هذا الشعب ومقاومة حدة هذا الفقر الاسود الذى يفساه هى محاولة
في بث عوامل الفرح في النفوس ومقاومة هذه الكآبة الغاشية .

وتتصل بالفقر في الريف أو تنشأ عنه ظاهرة الظلام . فالانارة في القرية المصرية ضعيفة
جدا أو هى في حكم العدم سواء في المنازل أو الطرقات ، إذ تحيم الظلمة الحالكة منذ غروب
الشمس ، بل تسدل حجابها على كثير من المنازل قبل غروبها نظرا لقلّة النوافذ في هذه الكهوف
التي يأوى إليها الأحياء كالأموات .

وقد لا يلتفت الكثيرون إلى علاقة النور بالحالات النفسية ، ولكن العلاقة مع هذا
أوضح من أن تذكر ، فالنور من الناحية الفيسيولوجية يبه خلايا الجسم وينشطه ، والضحك
ظاهرة من ظواهر النشاط النفسى والجسمى بطبيعة الحال .

هذه الظلمة التي تخيم على الريف تحمل في طياتها الكتابة وشعور الانقباض والانكماش ، فإذا انفرجت قليلا في أيام رمضان وفي الموالد والأفراح التي يكثر فيها النور وتوقد المصابيح الكبيرة ، انطلق الأهليون يتقبلون في القرية وانفرجت أسرارهم ، وتغيرت حالتهم النفسية تغيرا محسوسا .

فتحاول الحكومة أن تنشر النور في القرية وأن تبدد هذه الظلمة قدر ما تستطيع بوضع مصابيح البترول الكبيرة في الشوارع . وكل مبلغ تنفقه في هذا السبيل لن يضع هباء ، لأنه سيدخل السرور والنشاط على نفوس الملايين .

وما من شك في أن الحكومة تعلم أن هذا النور يقلل من الجرائم ويعوضها اضعاف ما ستفقه من قروش .



وسيعجب الكثيرون — ولعلهم سيضحكون أيضا — حين أقول لهم أن محطة الإذاعة اللاسلكية جاءت سببا من أسباب الغم والكتابة في الحياة المصرية ؛ فأننا أفسر لهم هذا اللفز العجيب .

كان لاحتجاب المرأة أثره في الأغاني والموسيقى المصرية . وكان أمرا سببا ولا ريب ، فقد عادت الموسيقى وعاد الغناء ترديدا لصوت الغريزة الحبيسة ، ونداء للجنس المكبوت . وباليته بقي نداء الحيوان السليم للحيوان السليم ، بل انحط الى درجة النداء الجنسي المريض المهزول المصطنع الذي ينقصه حتى جمال الصدق في تصوير غريزة الحيوان السليم .

وكان هذا الشر قاصرا على حفلات الغناء ، وعلى الاسطوانات يذيعها الحاكي في دائرة ضيقة ، فلما أنشئت محطة الإذاعة وصل النداء الى كل بيت وكل سمع ، وتغالت أنات المرضى التي يذيعها المطربون وتذيعها المطربات فوصلت الى كل حجرة وكل أذن ، وتغنى بها الجميع فزادتهم مرضا على ما هم فيه من توعك وإضمحلال .

ليس لدينا قطعة موسيقية واحدة ولا أغنية مصرية واحدة حتى اليوم تحمل طابع الصحة وترتفع عن نداء الجنس المريض .

وأكثر من ذلك أنه ليس لدينا حنجرة واحدة مستعدة لإخراج نبرة الفرح أو نبرة النشاط والصحة إذا عزت علينا نبرة السمو والتعاليق ، ولم يبق عندنا من المغنين من يصاح لترديد نعمة واحدة من نعمات الإحساس السليم . وطالما شكونا التأليف والتلحين ، ولكننا لم نلتفت الى ظاهرة عجيبة في أصوات مطربينا ومطرباتنا وهي أن حناجرهم وحناجرهن لم تعد صالحة إلا لإخراج النبرة الكثيبة والصوت الحزين .

وأشد ملاحظت هذا في الأغاني الوطنية التي رجت في هذه الأيام ، وفي أناشيد أفراح الزفاف الملكية وأناشيد الأعياد . فالألغاز والمعاني في الأولى قوية صاخبة ، وفي الثانية ضاحكة باسمية ، ولكنها خرجت من حناجر المطربين والمطربات مينة هامة حزينة ، تقطر منها الدموع وتشيع فيها الآات ويطل منها الوجع الدفين .

وهذه نكبة على روح الفرح والبشر لأن الموسيقى والغناء يفعلان في الكيان النفسى مالا تفعله جميع التعاليم .



وننتقل الآن الى سبب كامن في بيوتنا ومجتمعاتنا ، ذلك هو التفكك الملحوظ بين أفراد الأسرة الواحدة وبين أفراد الأمة كلها . وساعة واحدة يقضيها المرء في بيت افرنجى يراقب عواطف الحب والمودة الواضحة بين أفراد البيت الواحد ، ويلاحظ مظاهر المشاركة الوجدانية واجتهاد كل فرد أن يدخل السرور على نفوس الآخرين بمحاكاة أو لعبة أو حركة ساعة واحدة تكفيه لإدراك ماقد حرمانا منه في بيوتنا . هذه البيوت المتفرقة الأجزاء المفككة الأوصال التي يهرب الكثيرون منها الى القهوة والنادى هروب اليائسين .

فإذا عدونا البيت الى المجتمع راعنا ذلك الانحلال وهذا التفتت من الأواصر الاجتماعية وظهور الأحاسيس الفردية على أحاسيس الجماعة . ولست أرى أن هذه مشكلة سهلة الحل فليحاول كل فرد منا أن يكون مبدرا في بيته بتعاليم الأسرة الجديدة ؛ ولنختلط بالافرنج ما استطعنا ، ولنقرأ ما كتب في لغاتهم من وصف للبيت الافرنجى ومباهجه ، ثم لنحاول في صبر طويل محاكاةهم في إحياء بيوتنا وبث روح الفرح والنشاط والبهجة بين جدرانها ، ولعلنا نوفق بعد عمر طويل .

وما من شك أن وسائل التسلية في المجتمع منقوصة نقصانها في البيت ، وما دنا في طور نعتمد على الحكومة فيه اعتمادا كبيرا ، فلتحاول الحكومة ممثلة في وزارة الشؤون الاجتماعية أن تخلق وتنظم كثيرا من المواسم والمهرجانات الفرحة النشيطة . ولتضف الى الاحتفال بالمولد والمحمل ووفاء النيل الاحتفال بمواسم أخرى ، فلتحتفل بعيد الربيع (شم السيم) وبموسم الحصاد ، وموسم جمع القطن على مثال ما تصنع بعض الممالك الأوربية . ولنظم مسابقات كثيرة للزوارق ومعارض الزهور .

ولتقم الى جانب وزارة الشؤون الاجتماعية هيئات أخرى ولجان تجعل من همها الإثارة من المباحث الاجتماعية والتجديد فيها والابتكار في كل مناسبة من مناسبات العام . حيث يتاح الاشتراك فيها لأكبر عدد ممكن من الشعب المحروم .

ولنذكر دائماً أن كل ابتسامة ترف على الشفاه ، وكل ضحكة ترن بها الحناجر ، إنما هي قطرات من الدم التي في عروق الأمة وصيحات الى العمل المنتج ودعوات الى السمو والطموح .

سيد قطب

-
- الحق كبير فلا تصغروه بالصغائر .
 - الأمية شلل الأمم ، الناس معها مقعدون وإن خيل إليك أنهم يعدون .
 - اعتراف الخاطئات استبسال ، وفرار من الاسترسال ، فانتشلوهن بفؤكم وأحيطوا بضعفهن من حاكمكم بقوة .
 - خف اليائس فإنه لا يخاف .
 - الخير فيه ثوابه وإن أبطأ ، والشرف فيه عقابه وقلما أخطأ .
 - أبى الله أن يتساوى عباده إلا في النوم والموت .
 - الأعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه .
 - لاسلطان على الذوق فيما يحب ويكره .
 - أصدقاء السياسة أعداء عند الرياسة .
 - اخذع من شئت إلا التارخ .

” من أسواق الذهب لشوقي “

مشاهدات وملاحظات

للدكتور أحمد ضيف

الأستاذ بالجامعة المصرية

ربما كان المصري من أشد الناس نقدا لبلاده وقومه ، وأكثرهم دعاية لنشر عيوبه وعيوب أهله ، حتى لقد يحسب ذلك من المسائل العادية التي لا يخلو منها مجلس من مجالسنا ولا مسامرة من مسامراتنا . بل أصبحنا لا نرى فينا غير عيوب منبثة في عاداتنا وأخلاقنا ونظمنا الاجتماعية : في الأسر وفي المجتمعات ، وفي البيوت والشوارع ، وفي الجدد والحزل ، وفي ثقافتنا وتربيتنا العقلية والعامة والنظامية وفي كل شيء يصدر عنا أو يحيط بنا . وقد عرف المصري بهذا العقل التهكي الذي يقلب الجدد حزلا والحزل جدا لرغبته أو لميله إلى التسلية وبث السرور في نفسه ليدفع عنها ما بها من آلام وسأم . وكان ذلك أكثر ما يكون انتشاره بين العامة ليقطعون به الوقت لكثرة ما لديهم من فراغ أو لكثرة ما يتورهم من ملل .

وقد سرت عدوى هذا الخلق إلى الخاصة منا بشكل جدي ، الفرض منه توجيه النظر إلى ما فينا من عيوب اجتماعية للعمل على إصلاحها وأصبحنا نحن المتعلمين أكثر الناس تحذرا عن عيوبنا في مجالسنا ومجمعاتنا .

ومن الغريب أنك تسمع كل إنسان يتألم مما يراه دائما من هذه العادات التي يستنكرها هو ويرى غيره بالخمول والتقصير . ولا نكاد نجد نعمة لهذا الروح النقدي الذي صار عادة لنا الآن غير كثرة الأحاديث وإعادة ما تقوله في كل مجلس ومجتمع وكأننا ينتظر كل منا أن يعمل غيره على إصلاح هذه العيوب ، أو يضع تبة ذلك على أولى الأمر ويتكل عليهم كل الاتكال .

ولكن برغم ذلك نرى حركات اجتماعية تدعو إلى العمل ونرى جماعات تنظم وتعمل على إصلاح بعض العيوب الشائعة فينا ، غير أن أعمالها تسير ببطء شديد .

لذلك نرى مظاهر هذه العيوب لا تتغير في مجتمعاتها عما كانت عليه من سنوات في جمهور الشعب . على حين أننا نرى الإصلاح يبدو في بعض الأسر والأفراد الذين خرجوا من تلك الأنظمة القديمة سواء أكان ذلك في نظام الأسر كالمسكن والمأكل والمشرب ، أم في نظام الأفراد في هيئاتهم وتغيير عاداتهم ، وهذا يدل على ذلك الخلق الكامن فينا ودور اشتغال الإنسان بنفسه والعناية بها قبل المجموع . وأنتا نتألم مما نراه في مظاهرنا الخارجية ومظاهر الشعب في جلته ، وذلك لأن مظاهر أمة من الأمم هي التي تدل على أخلاقها وعلى قوة التفكير الكامنة فيها وتدل بخاصة على ما لها من كرامة واحترام في نفوس غيرها .

فلو أنك شاهدت رجلا قدرا عرفت أنه لا يعني بنفسه ، ودعاك ذلك الى عدم احترامك إياه ، وهذا ما نشاهده مبتدئا في جمهور الشعب المصري . سر حيث شئت في أى طريق من طرق القاهرة وفي أى حى من أحيائها العظيمة أو الحقيبة وانظر الى أفراد الشعب فإنه لا يقع نظرك إلا على شيء لا يرضاه لنفسك ولا لقومك ، ولعلنا اعتدنا هذه المناظر وهذه العادات فصرنا لا نسمثر منها كثيرا .

ولكن الذى يرى ذلك في صورة مكبرة هو الأجنبي الذى يجرى لزيارة بلادنا . يرى أمة متفرقة في زياها وعاداتها وثقافتها . يرى الأمة طبقات مختلفة في كل شيء ، وهذا الاختلاف ليس محصورا في اختلاف الطبقات كالعامة والخاصة وكطبقة التجار وطبقة العمال ، بل يجد أفراد كل طبقة يختلف بعضهم عن بعض . فطبقة المال أو الباعة المتجولين يختلف بعضهم عن بعض في ملابسهم وعاداتهم ، فهذا يلبس لباسا غير ذاك ، ويتكلم بلهجة غير ما يتكلم به زميله ولكن يجمعهم شيء واحد هو عدم النظام وقذارة هيتهم وسوء حالتهم في ملابسهم وما كلهم ومسكنهم . وهذا يدل على أنه ليس لنا شعار قومى ولا وحدة قومية .

فهذه المظاهر يحكم علينا غيرنا ، يحكم على عقليتنا وعلى تفكيرنا وعلى ذوقنا وعلى عقائدنا بما يراه في ملابسنا وما كلنا ومسكننا وحركاتنا في القيام والجلوس وأحاديثنا في المجالس والمحافل ومعاملاتنا لأنفسنا أو لغيرنا مما يخرج عن مقياس الذوق المعروف لدى الأمم المتحضرة ، ويدل على أننا لا نزال في سذاجة في كل شأن من شؤون حياتنا ، بل على أننا في وقوف بل في تقهقر رغم الأيام التي تمر بنا والدروس التي نتلقاها ورغم ما نشاهده لدى الأمم الأخرى التي نراها ونعاشرها .

وذلك لأن مظاهرنا تدعو الى الريبة في صلاحية تربيتنا وفي إدراكنا للحياة وللحضارة ، والمثل يقول : ” الكتاب يعرف من عنوانه “ . والحق أنك اذا رأيت رجلا لا يعني بملبسه ولا بشكله ولا بنظام عيشته حكمت بأن عقله ناقص وذوقه ناقص وإدراكه للحياة ومعانيها ناقص أيضا .

فالذى يجب أن ندعو اليه قبل كل شيء هو تنظيم حياتنا الاجتماعية أو إصلاح مظاهرها في الخارج والداخل : في ملابسنا وماكلنا ومساكننا ، وفي آدابنا في المحادثة ، وفي بيعنا وشراؤنا وفي إفهام الشعب أو العامة أن الأمة لا تحترم إلا إذا كان مظهرها يدل على احترامها لنفسها .

تقدم إلى بالرجاء أحد اصدقائي الزلاء بأن أرافق بعض أقاربه الذين جاءوا من باريس لزيارة بعض الأحياء الوطنية في القاهرة ، فرافقت هؤلاء إلى حي الغورية والأزهر . واخترقنا حي التريسة ، وكان من بينهم شيخ مثلى الجسم حاد النظر ، حاد الإدراك ، لا يكاد يمر بشيء إلا حقق النظر فيه وإدرك خفيه ، ومعه زوجته وهى شبيخة أيضا حسنة الزى دقيقة الإدراك يظهر أنها تحب الجمال في كل شيء .

مررنا برجل يلق بعض التوابل في هاون من الحجر الصوان ، وهو رث الثياب يحمل على جسمه جلبابا ممزقا يظهر أعضائه النحيفة ، حافى القدمين يتصبب عرقا ، يحمل مدق من الحديد الثقيل وهو يرفعه ويخفضه ، وكلما رفعه أو خفضه شقق شهقة كأنها شهقة الموت والعرق يسيل من كل جسمه .

ف نظرت السيدة اليه ثم رجعت النظر إلى وقالت : ماذا يعمل هذا الرجل . قلت : يلق بعض التوابل . فقالت ؟ ياله من بأس قدر .

وصعدت معهما في سلم قبة الغورى ليريا باب القبة العجيب الصنع ، فلما وصلنا إلى مصعد الباب رأيت الشيخ وقف قليلا وأخذ يقدم رجلا ويؤخر أخرى . فقلت له : ماذا؟ فلم يجبنى وإنما نظر إلى قدمه في تردد وحيرة ، فنظرت معه إليها وإذا حذاءه قد انغمس في..... فأحمر وجهى نجيلا منه عند ما سمعته يقول لى : أليس بهذا المكان خادم يزبل مابهذا الباب الجميل من أوساخ ؟ فالتفتت ورأى وقالت مشيرا إلى مسجد الغورى من الناحية الأخرى : وهذا أيضا باب جميل . فالتفت وضحك وعرف أنى فررت من الاجابة على سؤاله .

ثم أليس من المنجل لأمة من الأمم أن تخص شوارعها بل مدنها بأبناء السبيل القذرين المشوهين الذين لا يفترون عن الحيوان إلا بالكلام ؟

واليس من المنجل لنا أن نرى في كل مكان أفذارا وأوساخا وأناسا أزيأوهم منومة بشعة المنظر ، تدل على الفرقة بين أفراد الجمهور وعلى أنه ليس لنا طابع قومى في شيء ؟

واليس من المنجل أن نرى بائع الطعام المتنجل في الطرق أمام أعيننا وأعين غيرنا قدرا ، حافى القدمين تجتمع جيوش الذباب على ما يحمل فوق رأسه من خبز ولحم وغيره مما تنفر منه النفس ؟

وأليس من المعيب أن نرى بائع الشراب على هذه الحال المؤلمة التي تحملنا على اللجل على أنفسنا ؟ وأليس من الشار لأمة سائرة في سيل الحضارة مثلنا أن نرى بائعي الحلوى والفاكهة جالسين في الطرق على أفاريزها في حالة تدل على عدم العناية بأنفسهم وبما يقدمون للجمهور من ما كل ومشرب وقد تراكت الأقدار والأتربة والذباب وهم جالسون مطمئنون فوق الثرى كأنهم في بيوتهم أوفى أمكنتهم الخاصة .

دع هذا فذاك ومزيباب الخلق وانظر الى الشعب هناك من جالس أو واقف ينتظر الترام ثم عرج على دار محكمة الاستئناف وادخل في ساحتها وقل لي ماذا ترى ؟

ترى رجالا كبارا وصغارا من أصحاب القضايا القرويين جالسين على سلم المحكمة يصفقون حولهم ويتمخضون، ثم تقدم خطوة أو خطوتين وادخل ساحة هذه الدار ترنساء جالسات متربعات على بلاط البهو وحولهن أولادهن يتبولون ويقعلون أكثر ذلك، والداخل أو الخارج ينظر الى آثار هذه الأعمال ، والشرطي واقف على رؤوس الجالسين لا ينبس بكلمة ؟

المنظر مؤلم والناس غافلون لاهون لهم عيون ولكن لا يرون بها ، وأنوف ولكن لا يشمون بها ، فمن هذه الحال السيئة غير وزارة الشؤون الاجتماعية تجرد عليها حملة قوية من الدعاة والوفاة والمرشدين والجنود الاجتماعيين يبصرون الناس بما هم فيه ويلفتونهم الى ما ينبغي أن يكونوا عليه ، ويظلون بهم في المساجد والمجتمعات والشوارع ينصحونهم ويعظونهم حتى يغيروا ما بهم ويستبدلوا بحالتهم حالة أصون لكرامتهم الانسانية ولسمعتهم القومية . وليس ذلك بعزيز على الوزارة الناشئة التي نرجو لها كل الخير والتوفيق .

أحمد ضيف

أثر المرأة

في توجيه الرجل

بقلم الأنسة سحر القلماوى

طلب الى رئيس تحرير هذه المجلة أن أحدث قراءها في هذا الموضوع الذى اختاره هو فهو اذن يتحمل تبعه هذا العنوان. ولقد احررت أول الأمر فيما أقول فيه وأنا لم ألق أن أتحدث أو أشارك في حديث حول المفاضلة بين الجنسين. وكنت دائماً لا أمتسج هذا النقاش ولا أجده أكثر من كلام لا طائل تحته. ولكن يخيّل الى أن رئيس التحرير لا يريد بهذا الموضوع شيئاً ألفتنا أن نسمعه مما يثار حول الجنسين من مفاضلات ، وإنما هو موضوع يؤيد ظواهر ثابتة في الحياة لا يجد أى من الجنسين غضاضة في الاعتراف بها . وهو لذلك يثير في نفسى مسألة حامة لا يكفى فيها التفكير وإنما هى تتطلب العمل السريع الحاسم .

المرأة في الحياة تمثل المعنى والعاطفة ، هى البيت الذى تسكن اليه الأسرة ، هى الأم وهى الزوج ، هى المحيط الذى يحس الرجل فيه أنه انسان يحيا لا انسان يعمل ، هى البوتقة التى تصهر فيها أفراد الجيل الجديد. لذلك كان لها الأثر الذى لا حد له في تكوين الأمم .

هذه حقائق من العبث مجادلتها أو الاستمرار في وصفها ، والأفضل من هذا أن نسائل أنفسنا: الى أى حد تقوم المصرية بهذا الدور ، وما آثارها ، وما هى السبل التى تمكنها من أن تقوم به على الوجه الأكمل ؟

ليس هناك شك أننا اذا تكلمنا عن المصرية كان كلامنا محتاجا الى تحديد . فكلمة المصرية علام تدل ؟ هى تنصب على الفلاحة التى تعيش لاصقة بالأرض وتسير على سنن الطبيعة التى سار عليها الانسان في بحر التاريخ مع شئ طفيف من التغير ، وهى تنصب على المتعلمة المدنية التى بلغت من الثقافة والتهذيب ما بلقته أختها في أرقى الأمم الغربية ، وهى بعد تنصب على كل من تقع بين هذين الطرفين من حيث التعليم والتهذيب مع تباين هذه الدرجات وما يحجره تباينها من خير أو شر .

نلاحظ اذن لأول وهلة أن البون شاسع وأن الاختلافات كبيرة جدا بين مدلولات هذه الكلمة . وهذا من الناحية القومية شيء هام أنتج آثارا هامة نشق بها أى شقاء .

هذا التباين أوجد عندنا أنواعا متعددة من المصريات ليس يمين صفة مشتركة تدل على أنهم نبعين من وطن واحد ويردن مثلا أعلى واحدا . ليس عندنا تعبارة أخرى نموذج معين نستدل به على مصرية المصرية . فهذه التى أسرفت فى تقليد المدنية الغربية عن سوء فهم وسوء تشيل لما تعلمت ، وهذه التى لا تفتقر عن الحيوان الا فى القليل من عواطفها ، هذه وتلك مدلول لكلمة واحدة ، وهذه وتلك لا يلتقيان عند شيء بل لا تكادان تتفاهمان .

ولما كان البيت من صنع المرأة ولما كانت المرأة لا تستطيع أن تخلق من بيتها الا ما يلائمها فقد خرجت بيوتنا المصرية معرضا لثتى أنواع البيوت ليس بينها شيء مشترك ، وهى لا تدل على شيء يمكن أن نسميه الشخصية المصرية ، ولذلك أيضا فقدا وحدة الأثر المنزلى فى تكوين المصريين فاصبحت هوة الاختلاف حقيقة مخفية بين أفراد الأمة الواحدة ، لان الفرد يتكون فى البيت قبل أن يتكون فى أى مكان آخر .

أين يلتقى الطفل الذى ربي فى بيت أسرفت ربه فى الأخذ بأسباب المدنية ، والطفل الذى ربي فى الريف فى بيت أسرفت ربه فى الحيوانية والجهل ، وهذا وذلك سلتقيان وسيوجدان جنبا الى جنب فى أعمال الدولة وسيكون بينهما ما نجد الآن مما هو من أخص صفات أعمال أمتنا وهو التعطيل والتأجيل بسبب تباين الآراء واتساع هوة الخلاف الذى لا يمكن أن تلتقى بسببه وجهات النظر ، والذى ينهى الأمر حتما الى نقاش يخرج منه بلاى شار العافية وتأجيل العمل أو يخرج منه بنقر يرشى ، اليوم يحى هو نفسه فى الغد .

وياليت الخطر على فداحته اقتصر على ما تخرجه البيوت المصرية ، ولكن يجب أن نضيف الى هذا أن المصرى يخرج من بيته ولا شخصية له ، ويتلم فى مدارس يقوم بتنفيذ برامجها التى تتجدد وتتغير ، مربون متباينون فى شخصياتهم إن كانت لهم شخصيات ، ثم يشاء سوء الطالع أن تكون مفتقرين الى ما عند غيرنا من الأهم من أسباب الرقى ، فترسل هذا المصرى ليقبض من هذه الحضارات ما يفيد ويعين ، فيترى فى فرنسا أو انجلترا فاذا افراد اقوياء لست أبالغ فى قول كلهم وإنما أنصف فاقول أكثرهم ، فتؤثر فيه آرا مختلفة ، ويحمل هذه الآثار وهو غير مستمد لها ولا قادر على غرلبتها وإخراجها فاذا هو على حد تشبيه القرآن الكريم « كالبحار يحمل أسفارا » ، و يعود الى وطنه مسخا انجليزيا أو فرنسيا قد بهر وقلد ، ولم يزد على أنه بهر وفلد القشور الشاذة . ثم يسخط على بيته ووطنه وليس عنده من القوة ما يساعده على تغيير ما يسخط عليه ويتزوج

مصرية أو أجنبية فتعود المسألة تتكرر من جديد في بيت جديد أن اسرفنا في حسن الظن فهو بيت مصرى لا مصرية له . وقد يكون هذا المصرى ممن تخصصوا في التعليم أو التربية فلا ينحصر ضرره في الديوان والبيت وإنما يمتد إلى الآلاف من التلاميذ أيضا .

هذا هو الداء الخطير ، وقد برعنا في وصف الأدواء عادة فما هو العلاج وليس أمره سهل الوصف . الأمر في ظاهره كالحلقة المفرغة : هذا يعتمد على ذاك وذاك يعتمد على هذا ، الجليل المستقبل يريد جيلا حاضرا سليما من هذا الداء ليكون ، والجيل الحاضر كان يريد جيلا ماضيا سليما من الداء ليكون . ولو صح هذا المنطق لما كان هناك اصلاح في التاريخ وإنما الذى لا شك فيه أن قوما يحسون الداء وأن قوما سلموا من هذا الداء وأن قوما ممن أحسوا وسلموا ستتاح لهم فرصة العمل إن سعوا اليها وهم لاشك واصلون ، وهؤلاء وحدهم هم القادرون على العمل بشرط أن يؤمنوا أن أشرف ما يضيع الانسان فيه حياته هو أن يشقى ليسعد من بعده . ولا شك أن عقبة هامة ستقوم في وجه هؤلاء هي آثار هذا الداء والمصابون به ممن سيضطرون الى العمل معهم ولكن تلك العقبة تغلب عليها ما دمنا مخلصين وما دمنا ولا شك نتفق على أسس بعينها ، فلنبدا بهذه الأسس مبسطة من الآن ولا نهجم على الكمال فتعجز ونقعد .

المصرية لها تاريخ طويل مجيد لاشك أنها لا تعرفه ولا شك أنها يجب أن تعرفه . والمصرية لها بلاد تنفرد بطبيعتها وجغرافيتها ، وهي لا تعرف عن هذه البلاد شيئا ، وهي مطالبة ولا شك بأن تعرف عنها كل شيء . والمصرية لها لغة وأدب وفن تجهلها جهلا يكاد تاما وهي مطالبة بأن تعرف عنها مقدارا لا يمكن أن تستغنى عنه .

هذه أشياء يجب أن تبسط لتعلمها المصرية قبل أن تعرف حرفا واحدا عن غير مصر . ولست أدري لماذا لا يضير الانجليزية العادية أن تجهل . موقع مصر من العالم ويضير المصرية ألا تعرف أن لندن عاصمة بريطانيا . ولماذا لا يضير الفرنسية العادية ألا تعرف شيئا حتى عن وجود لغة عربية يتكلمها أهل مصر ويضير المصرية ألا تفهم الفرنسية وهكذا .

والمصرية قبل كل شيء وفوق كل شيء لها دين ينظم عبادتها وينظم علاقتها بالناس الى حد بعيد وهي تجهل ولا شك هذا الدين وهي مطالبة بأن تعرف دقائقه وأن تعمل بتعاليمه منذ صباها . والمصرية لها تقاليد ومقاييس تقيس بها قيم الناس والأشياء وهذه ولا شك تجهلها أو تتجاهلها ، وهي ولا شك قوام شخصيتها في المحافظة عليها وجودها ، وفي الاستهانة بها تحبطها بين الوجود والعدم .

والمصرية لها طقس ومناخ ، ولما تكون جثاني خاص ، وهذه تتطلب معلومات معينة
للعناية بأهل بيتها العناية الأولية التي لا بد منها في الصحة والمرض ، وهذه يمكن أن تبسط
وأن تتعلم بمنتهى اليسر في وقت سريع .

من هذه المواد الأساسية التي لا يمكن أن يكون فيها خلاف أو جدال يمكن أن يوضع
برنامج متحد متماسك بسيط قوى في بساطته يمكن أن ينفذ في عامين مثلا . ويفرض هذا
البرنامج كخدمة العسكرية الإجبارية لا على المصريين فحسب وإنما على المصريين من أى
سن ومن أية طبقة حتى نستطيع أن نكون أكبر عدد من البيوت المصرية في أسرع وقت .
يفرض في المدرسة على المتعلمة ، ويفرض أحاديث يتحدث بها إلى غير المتعلمة حتى تنال حقها
من التعليم .

وبهذا ، وبهذا وحده يمكن أن نضمن سريعا بيوتا لست أقول مثالية وإنما أقول
مصرية على الأقل تباشر فيها المصرية أثرا القوي في الرجل والأبناء . وبهذا وبهذا وحده
يمكن إيجاد نقط أساسية يلتقي عندها المصريون جميعا فتخف وطأة النقاش بين المصريين
وتضيق دائرة الخلاف ، فلا تعطل دفة العمل ولا تتعثر عند أولى الخطوات في بلد هي أحوج
ما تكون إلى العمل السريع .

سهير القلماوى

آفة النصيح أن يكون جدالا ، وأذاه أن يكون جهارا .
حب القلوب يزول ، ويبقى حب العقول .
تحسن المرأة نصف عليمه ، ويتبحر الرجل نصف جاهل .
زواج العشق ورد ساءة ، وزواج المال ورد صناعة ، والبركة في زواج موفق يكون
للمهارة البلد وفي سبيل الولد .

شوقي

الفضائل القومية

وكيف نفهمها .

بقلم الأستاذ أحمد رمزي بك عضو مجلس الشيوخ

الأمم بفضائلها . فهي لا تسمو إلا بالأخلاق القومية يتحلى بها الأفراد ولا يتحلون عنها في الشدة والرخاء ، أو في العلانية والسر . فهي هي في الغنى والفقر ، وفي الحرب والسلام ، وفي الرضى والفضب . وأقومها ما ظهر في أوقات الشدة ، وخيرها ما انصرف الى خير الوطن ومصلحة الجماعة .

والفضائل درجات أدناها الكف عن الرذيلة . ويدخل فيها زهدك في مال غيرك ويسمونه في هذه الأيام "بالنزاهة" يخصصونها بالمال . فان أقل ما ينتظر الناس من أحدهم ألا يسرق ماله ولا يخلسه ولا يأخذ رشوة إن كان موظفا .

ومن عجب أن يشيع بين الناس أن "النزاهة" صفة يتفاضل بها بعضهم على بعض ، مع أن الانسان لا يستحق أن يتمتع بمرتبة الانسانية اذا كان لصا . فكيف يعد هذا الجليل من المفانحرات انصاف "بالنزاهة" حتى الوزير اذا مدحوه قالوا إنه "نزيه" يريدون أنه لا يسرق كأن الأصل في عموم الناس أو في عموم الوزراء أن يكونوا سراقا ، فاذا كان منهم عفيف فهو المفرد . العلم الذي يشار اليه بالبنان ويعرف بهذه الصفة بين القوم . وهم لو علموا لأروا في هذا القول انتقاصا شنيعا للأمة التي ينسب اليها هذا المدح وتجرى بالدوح نفسه بأن أظهر صفاته أنه عفيف لا يسرق أو صادق لا يكذب وهكذا .

ومثل ذلك أن يقال فلان "ظريف" وقد يكون من لوازم ظرفه الكذب واخلاف الوعد . أو أن يقال إنه "صريح" أى أنه سفيه في القول ، أو أنه "يحفظ كرامته" وما به من كرامة أهنت ولكنه يتجنى على الناس ليؤذيهم ، أو أن يقال فلان عادل يقضى بالحق بين

الناس وما في ذلك عناء وإلما العناء في الظلم يتجنبه العاقل الذي يخشى عقاب الله والناس .
فإن أنصف الناس من نفسه في قول أو فعل فذلك هو العدل الذي يتصف به القابل ، وهو
على ما فيه من خير ومغالبة للهوى لا أراد ينطوى على فضل كبير ، فليس في أن تأخذ مالك
وتدع ما عليك فضل يذكر .

ومن المناقب التي يمتاز بها بعض الناس أن يكون مصلحا يتغنى باصلاحه الخير للناس
فهو لا يفتأ يتلمس الصالح فالأصلح لاسعادهم وعلاج ما بهم بنظام أو قانون أو منشأة أو
موعظة حسنة أو غير ذلك . والقدرة على الاصلاح نعمة اختص الله بها القليل من عباده فما
كل واحد براغب فيه ، خصوصا في بلادنا هذه ، وما كل راغب فيه بقادر عليه بنفسه أو
بمأتيا له من أسباب . وطوبى لمن قدر على الاصلاح فأصلح وأفاد فإن فيه لذة لا تعد لها
لذة في الحياة ولا يشعر بها أولئك الذين لا يعرفون في مجالسهم غير حديث الوزارة وتغييرها أو
الوظائف ودرجاتها أو التحليل وسباقها أو ما هو مثل ذلك أو أسفل منه .

ومن المحامد أيضا ، إثارة الناس على نفسك ولو كان بك خصاصة ، والتضحية بمالك
ونفسك لخير بني وطنك والذود عن بلادك بنفسك ومالك ، ولولا أن في هذه الخصال حرمانا
من المال أو الحياة أو منهما معا لما عددناها من الفضائل ، وإن كان فيها انكار للذات كبير
إذ لا كرامة لإنسان يعيش في وطن هضم أو يكتنف الشر بنيه ويؤذيهم . يعرف هذا من
يحب وطنه حقا ويفديه حقا . بالنفس والنفيس . يعلم أن عزته في عزته وهوانه في هوانه ،
فلا يشعر وهو يدفع عنه العوادي إلا بما يليه عليه فؤاده من الحب له ، وعقله من واجب
النجدة والذب عنه والذود عن حياضه ، فهو عرضه ومناط عزه وكرامته ، وهو موطن هواه
وهو مراحه ومقداه ، ومتى تشبعت النفس بما للوطن من أنهم على أهله لا تحصى وكرامة
لا يذانيها شيء في الحياة وتجلي لها ما تفعله الأئمة الراقية لا فرق بين الذاهب منها والحاضر
ولا بين صغيرها وكبيرها من الاستهانة بالحياة والمسال والأبناء في سبيل الوطن ، حان عليها
كل عزيز للدفاع عنه ، واستمذبت الموت لاستقلاله واسعا . ولا شك أن من واجبات
الأفراد أيضا اطاعة التوازين وتبليغ الحكومة عما يخفى بالأمن والتقدم إليها بالشهادة بالحق
واعانتها على اظهار الحقائق ، ودفع الضرائب .

ومن هذا الذى ذكرنا نستطيع أن نعرف الطريق التى نسلكها بأولادنا لادراك الواجبات الوطنية ، والذيادة عن الوطن ، والاستعداد لمختلف التضحيات . هذه الطريق هى أن نجيب الوطن اليهم بأن نعرفهم أنعمه على ساكنيه قولا وعملا فنظاهم بظلال حكم عادل حتى يمحنون فيه ثمار الاستقلال والحريات المختلفة ، والمساواة فى حدود القانون الحكيم ، ويحفظ لهم كرامتهم ، ويعلمهم ، ويصون أموالهم وأبدانهم ، ويحجبهم بوائق الظلم من أى نوع ومن أى ناحية إذادوا لبلادهم حبا ولحكومتهم اخلاصا . ومتى تبادلت الأمة وحكومتها الاخلاص فقد عثرنا على أقوم سبيل للاتحاد وأقوى حصن للدفاع واجتمعت للحكومة وللأمة أسباب السعادة والمحبة والحرص على كل ما هو محبوب فى هذه الحياة وكل ما هو مشرف لها .

أحمد رمزى

من حكم الامام على

— الاسلام هو التسليم . والتسليم هو اليقين . واليقين هو الأداء . والأداء هو العمل .
فالاسلام عمل .

— لو أذن للوقى فى الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى .

— لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ حقوق أخيه فى ثلاث : فى نكته ، وغيبته ووفاته .

— استنزوا الرزق بالصدقة .

— صونوا إيمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا البلاء بالصبر والدعاء .

— لا تكن ممن يرجون الآخرة بغير العمل ، ويرجئون التوبة بطول الإمل .

— الراضى بفعل قوم كالداخل معهم فيه . وعلى كل داخل فى باطل إثماني : إثم العمل به وإثم الرضا به .

في سبيل حماية النسل

الرضاعة

لحضرة الدكتور عبد العزيز نظمي بك

المتخصص لأمراض الأطفال

الرضاعة هي تغذية الطفل ، من يوم مولده الى يوم قطامه ، بالطريقة التي تناسب حالته الصحية وظروفه الاجتماعية ، فتكون الرضاعة طبيعية اذا رضع الطفل من ثدى والدته . وتسمى رضاعة مأجورة اذا كانت من ثدى مرضع مأجورة ، وأما إذا رضع الطفل بواسطة ثدى صناعي من لبن حيواني كالبقرة أو الجاموس أو الماعز أو الحمير ، فيقال لها رضاعة صناعية . وإذا أَرْضِعَ الطفل من ثدى والدته أو امرأة أخرى ومن لبن آخر مستخرج من حيوان فيطلق على تلك الطريقة اسم الرضاعة المختلطة . ولتكم بإيجاز عن كل من هذه الأنواع .

الرضاعة الطبيعية — هي أحسن طرق الرضاعة لما فيها من المزايا الصحية والاجتماعية للطفل ووالدته . وكفانا دليلا على ذلك أن تلك الطريقة هي التي أشار بها القرآن الكريم حيث قال الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين ”والوالدات يرضعن أولادهن حواين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة“ فتلآ الآية صريحة في حث الوالدات على ارضاع أولادهن من أئدائهن وأن يطلن مدة الرضاعة الى سنتين إذا أردن أن يتمن الرضاعة على الوجه الأكمل ، وذلك بشرط أن يتبعن أوامر الطبيب في نظام الرضاعة من الثديين ومن الأغذية الأخرى التي يشير بها بحسب تطور من الطفل وحالته الصحية .

وقد ثبت علميا وبالمشاهدات الطبية الكثيرة أن قيام الوالدة بإرضاع مولودها من ثديها يعود بمزايا صحية ومعنوية كثيرة على المولود والوالدة معا ، لأن الطفل الذي تغذى وهو جنين مدة تسعة أشهر من دم والدته ، يكون في حاجة كبيرة الى استمرار التغذية من هذا الدم نفسه بعد مولده ، إذ أن لبن الأم إنما يتكون من عصارة دمها وبذلك يستمر تكوين أعضاء

الطفولة ونموها . هذه الأعضاء التي لا تكفى مدة الحمل لتكوينها وبهذه الطريقة ينمو جسمه بنظام ، لأن لكل طفل غذاء يوافق حالته بسبب قواعد الوراثة والوسط ، وهذا الغذاء لا يوجد على الوجه الأكمل في مدة الرضاعة إلا في ثديي والدته ، ولذا قيل « لبن الوالدة ملك لمولودها » وهي حكمة بالغة تراها منقوشة بماء الذهب على جدران بعض المستشفيات في بعض بلاد الغرب ، وقد قال أيضا أحد كبار الحكماء « إن قلب الوالدة ولبنها لا يعوضان » .

وقد ثبت أن عدم قيام الوالدة بإرضاع مولودها مخالفة في ذلك النظم الطبية والشرعية لا يقتصر ضرره على الطفل بل يسيء إلى الوالدة نفسها في صحتها وفي درجة تعلق المولود بها . أما الضرر الذي يلحق الطفل الذي لم ينعم بالرضاعة من ثديي والدته (إذا لم يكن بها مرض يحول دون قيامها بهذا الواجب) فأمره محقق لأنه يندر جدا أن نثر للطفل على غذاء يعادل لبن والدته . ولذلك تعتل غالبا صحة الطفل الذي يتغذى بغير لبن أمه ، وقد يترتب على هذا الاعتلال كثير من الأمراض المعوية خصوصا في فصل الصيف ، هذا عدا ضعف الطفل فيما بعد ، بحيث لا يتوى على ما قد يعتوره من الأمراض بين حين وآخر ، فتعرض حياته للخطر .

أما ما يصيب الوالدة من اعتلال في صحتها بسبب عدم إرضاعها ولدها من ثدييها فرجعه إلى تعطل الثديين من تادية الوظيفة التي خلقهما الله لما فإن الله قد جعل لكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة إذا لم يؤدها بنظام حل بالجسم ضرر عاجل أو آجل . فالثديان اللذان تحلى بهما صدر كل سيدة هما عضوان نافعان جدا إذ خصهما الله بإفراز اللبن وهو السائل اللذيذ الذي قرره الله تعالى لتغذية الطفل من يوم مولده ليوم فطامه .

فالسيدة التي تعطل وظيفة ثدييها الخاصة بتغذية مولودها تعرض صحتها للاعتلال نظرا لارتباط وظائف الثديين وأعضاء التناسل الداخلية عند المرأة ، هذا فضلا عن أن الوالدة التي لا ترضع ولدها من ثدييها لا يمكن أن تنعم بحطف كبير ومحبة أكيدة بينها وبين طفلها وكذا لا تكون بين الطفل وإخوته المحبة الأخوية المتينة لعدم تغذيتهم جميعا من لبن والدة ، وهي مسائل أثبتتها المشاهدات الكثيرة ، وليس هنا مجال التوسع في شرح أسبابها وتفاصيلها الصحية والنفسانية .

إذا تعذر إرضاع الطفل من ثديي والدته لأسباب قهريّة كوفاة الوالدة أو إصابتها بمرض عضال ، فلا مندوحة عن إرضاع الطفل إما من مرضعة مأجورة أو تغذيته بلبن حيوان ، فإذا اخترنا الطريقة الأولى ، وجب علينا أن نحسن اختيار المرضعة من جميع الوجوه بقدر المستطاع مع العلم بأنه من الصعب العثور على مرضعة تكون مستوفية الشروط الصحية والخلقية وغيرها ، التي نلخصها فيما يأتي :

(١) يجب أن تكون المرضعة صحيحة الجسم ، قوية البنية ، خالية من أعراض الأمراض المعدية خصوصاً الصل والزهرى . وللتحقق من ذلك يتحتم عرض المرضعة على طبيب الأسرة الذى يتولى بحثها بدقة ، وعليه أيضاً أخذ "عينة" من لبنها لتحليلها فى المعمل للتأكد من موافقة اللبن للطفل المراد ارضاعه وكذا "عينة" من دمها لبحثه فى المعمل بطريقة "وشرمان" للتأكد من عدم وجود آثار لمرض الزهرى فى جسمها .

(٢) يحسن أن يكون عمر طفل المرضعة معادلاً بقدر الإمكان لعمر الطفل المراد ارضاعه أو أقل سناً منه ، فلا يصح ارضاع طفل حديث الولادة أو لا يزيد عمره على ٦ شهور مثلاً من مرضعة لها طفل يزيد عمره على سنة ، خوفاً من أن يجف لبن المرضعة قبل ميعاد فطام الطفل .

(٣) من الضروري التحرى عن أخلاق المرضعة وسلوكها وعاداتها الخاصة وما إلى ذلك من الاستعلامات قبل أن يوكل إليها ارضاع الطفل ، لأن المرضعة السيئة السلوك أو غليظة القلب تسيء إلى الطفل الرضيع بشئ الطرق ، أو تلجأ لإسكاته أو تنويمه بواسطة «الحوس» تدخل فى تركيبه بعض المخدرات المضرة بصحة الطفل مثل «أبى النوم» أو غيره . كما أن سوء خلق المرضعة قد يؤثر على أخلاق الطفل فيصعب اصلاحها فيما بعد إذ أن من شب على شئ شاب عليه .

(٤) من المستحسن جداً أن تعفى الوالدة بطفل المرضعة إذا كان حديث الولادة وعمره أقل من ستة أشهر . وأحسن طريقة تتبع أن تبقى طفل المرضعة مع والدته فتغذيه بنصف لبنها وتجعل النصف الآخر للطفل الذى استؤجرت له حتى يبلغ طفل المرضعة ستة أشهر فيرضع من لبن حيوان أو من امرأة أخرى . وليس هذا رأى بدعة ولا هو من عندائى بل هو مبدأ قرره بعض البلدان المتحضرة وسنت قوانين لتنفيذه ، ففى فرنسا مثلاً قانون روسيل (اسم أحد أعضاء مجلس الشيوخ) يمنع استخدام مرضعة لا يزيد سن طفلها على ستة أشهر ويقضى بوضع أولاد المرضعات المأجورات تحت رقابة قسم رعاية الطفل بوزارة الصحة ليتسنى لمفتش المنطقة ملاحظة حالة الطفل وتقييم الملاحظات فى الدفاتر الخاص وتقديم النصائح الصحية والمساعدات اللازمة إلى الأمرة القائمة بتربيته وذلك بواسطة زائرات صحيات يزرن المنزل أسبوعياً .

(٥) كما أنه من واجب الوالدة التحقق من سلامة صحة المرضعة قبل أن يعهد إليها بإرضاع طفلها ، وكذلك يكون من حق المرضعة أن تتأكد أن الطفل الذى سترضعه من نديها نظير أجر تقاضاه ، ليس مصاباً بمرض معد قد ينقل إليها ويضر بصحتها وصحة أولادها وزوجها .

كمرض الزهري أو السل أو غيرهما ، وقد ينتقل المرض الى أطفال آخرين بواسطة المرضعة إذا انتقلت من منزل لآخر. وهي حالات كثيرة الحصول بكل أسف، وكثيرا ما يراها الطبيب، ولكنه يعجز عن تلافيها إذا لم يكن قد استشير فيها قبل حدوثها .

ولذلك قررت معظم الحكومات المتعدية أنه لا يجوز تسليم طفل لمرضعة مأجورة إلا بعد أن تتضح طبيا سلامة الطفل والمرضعة معا من الأمراض المعدية.

ومن المقرر قانونا أنه لا يجوز للرضعة التي تصاب بمرض معد ، انتقل اليها من طفل أرضعته، أن تطالب أمرة الطفل بتعويض مالي نظير الضرر الذي لحق بها إذا ثبت أنها كانت تجهل إصابة الطفل بهذا المرض .

وقد صدرت جملة أحكام من محاكم البلاد الغربية تؤيد هذه النظرية تبعا للبدأ القانوني المعروف وهو أن كل من تسبب بضرر للغير يكون مسئولاً عن اصلاح الضرر المذكور، وقد تنجم عن استخدام المرضعات المأجورات مفاجآت عجيبة، وقد تكون لها عواقب مؤلمة أذكر على سبيل المثال الحوادث الآتية :

استخدمت أسرة راقية مرضعة لإرضاع طفل ذكر ، ثم خرجت المرضعة واستخدمت في أسرة أخرى لإرضاع طفلة ، ولما تم زمن الرضاعة تركت الأسرة الثانية . شب الطفل والطفلة حتى بلغا سن الزواج ، وشاءت الصدفة أن يقترن الطفل بالطفلة بدون أن يعلم أنها أخته في الرضاعة . علمت المرضعة بزواج الشاب (وهو الذي أرضعته من قبل) بسبب ترددها على منزل أسرته فذهبت الى مسكنه الجديد لتهنئه على زواجه ، وبينما هي مسرورة بما نفحها من عطاء باعتبارها مرضعته، اذ دخلت عليها الزوجة ، فما كان أشد دهشة المرضعة اذ عرفت أن العروس هي الطفلة التي أرضعتها من نفس اللبن الذي أرضعت به الزوج وصرحت لها بذلك بحسن نية وسذاجة، فاضطر الزوجان أن يعرضا الأمر على المحكمة الشرعية التي قضت بالحيلولة بينهما لتحريم زواج الاخوة في الرضاعة . وهكذا كانت الرضاعة المأجورة سببا في هدم هناء زوجين متحابين كانا يتسمان لحياة زوجية سعيدة .

ولذا أرى وجوب اتخاذ إجراءات إدارية لمنع وقوع مثل تلك الحوادث ، بتسجيلات لقيد أسماء المرضعات وأسماء الأطفال الذين رضعوا منهن وتواريخ مدة الرضاعة حتى يتيسر الرجوع الى تلك السجلات قبل تحرير عقود الزواج ، أو اتخاذ أى إجراء آخر يراه أولو الشأن .

ومما يزيد في عقيدتنا بوجوب ارضاع الوالدة مولودها بنفسها وعدم الالتجاء الى الرضاعة المأجورة (ما لم تكن هناك ظروف قهرية تمنع الوالدة من أداء واجبها نحو مولودها) ،

الصعوبات التي تصادفها الوالدة في إيجاد مرضعة حائزة للشروط المطلوبة ، وحتى لو فرضنا أننا بعد البحث الطويل والفحص الطبي الدقيق على المرضعة وقبول شروطها المادية عثرنا على المرضعة السليمة من كل مرض ، المترحة عن كل نقيصة ، فهل يمكننا أن نضمن بقاءها مع ولدنا الى حين فطامه ؟ أليس من الجائز أن هذه المرضعة الكاملة تطلب يوماً من الأيام الخروج من خدمتنا لأى سبب تنتحله وتترك لنا طفلنا مريضاً بعد أن يكون قد تعودها وأصبح من المعتذر أن يقبل الرضاعة من ندى مرضعة أخرى ، وتكون هى أيضاً قد انتسه وعرفت عاداته وطرق ارضائه ؟ فإذا حصل ذلك وهو كثير الحصول ، أفلا تكون النتيجة فى الغالب ضارة بصحة الطفل اذ يكثر بكائه لفراق مرضعته التي صارت كوالدة ثانية له ، وقد يحصل كثيراً انه خوفاً من ترك الطفل بدون مرضعة ، تستأجر والدته له مرضعة أخرى كينما كانت ، بدون أن تتحرى بدقة عن صحتها وسلوكها وماضيها أو بدون أن تعرضها على الطبيب للكشف عليها بدقة وتحليل لبنها الخ الاحتياطات اللازمة .

وربما يرفض الطفل الرضاعة من المرضعة الجديدة فتتخب له مرضعة ثانية وثالثة ورابعة ثم تضطر الوالدة أن تلجأ الى الرضاعة الصناعية وتعرض ولدها العزير الى أخطار التزلات المعوية التي ربما قضت على حياته الغالية ؟

أما الرضاعة الصناعية ، أى تغذية الطفل بلبن حيوان أو بأحد أنواع الألبان المجهزة فى المصانع على شكل مسحوق أو لبن مجفف ، فلها قواعد ونظم دقيقة يتحتم اتباعها لمنع أخطارها على صحة الطفل . وحيث إن تفاصيل تلك النظم والقواعد تحتاج لشرح ، لا يتسع له المجال هنا ، فإنى أشير على الأمهات بالرجوع الى الكتب الخاصة بقواعد تربية الأطفال . وقد فصلت هذا الموضوع وجميع الموضوعات الخاصة بنظم تربية الأطفال تربية صحية منظمة فى بعض رسائل لى ، ومنها كتاب (تربية الأطفال ، الطبعة السادسة) كما انى على استعداد لتقديم الإيضاحات اللازمة لقراء المجلة بغير أجر فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله .

دكتور عبد العزيز نظمي

التعاون ميدان جديد للمرأة

لحضرة صاحب العزة الدكتور إبراهيم رشاد بك مدير التعاون

البيت مملكة المرأة وميدان عملها الأول ، فإذا أدت مهمتها هناك كما يجب أن تؤدي وجعلت من هذا البيت مقرا ممتعا لها ولزوجها وأولادها يستمدون منه القوة والخلق فقد نجحت في حياتها ، وإذا تيسر لها بعد ذلك أن تساهم في الحياة العامة بقدر ما تسمح به ظروفها فهذا فضل منها ، على أنه ميسور لها دائما أن تتبع مجرى هذه الحياة ، أما اشتراكها فيها فعلى حد الحديث :

” من رأى منكم منكرا فليقومه بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان “ .

إن الحياة العامة فسيحة النواحي متسعة المسالك ، فمنها ما يصلح للمرأة بطبيعتها أن تشغل فيه ومنها ما لا يصلح ، فالعناية بالمرضى ورعاية الأطفال وتعليم النشء وتدير البيوت وتربية الفتيات وكثير مما يدخل في عداد الخدمات الاجتماعية كل هذا يمكن للمرأة أن تشارك فيه بنصيب يقل أو يكثر بحسب ما يتسع له وقتها ويهدئها له استعدادها .

ومن هذه الميادين الصالحة للمرأة ميدان ” التعاون المتري ” فكان لدخولها هذا الميدان الذي يتفق وطبيعتها نفعا مزدوجا .

❦

إن تدبير أمور الحياة المديشية يتأتى من طريقتين : الأولى إيجابي ومن اختصاص الرجل عادة وهو زيادة الكسب ، والطريق الثاني سلبي وهو في الغالب من شأن المرأة وهو الاقتصاد في الصرف . وتتوقف هناءة العيش لدرجة كبيرة على متانة هذين الركيزتين ، وجمعية التعاون المتري كما نعلم ، تمكنا من الحصول على جميع مطالب المنزل بأسعار معتدلة ومن أنواع جيدة

و بموازين كاملة وفي نفس الوقت نذخر فيها ما نوفره فنشتري به أسهما تدر علينا ربحا عادلا وتوزع علينا آخر العام جزءا من أرباحها يتناسب مع مبلغ تعاملنا معها . فالجمعية في الواقع تساعد على تدبير الأمور المعاشية من الناحيتين السلبية والإيجابية .

إن حركة التعاون المنزلى هذه خليفة أن تساهم فيها المرأة إذ بواسطتها تدار أموردا المنزلية أحسن إدارة ، وإذا علمنا أن من الأوضاع التعاونية صرف جزء من أرباح الجمعية في الأعمال الخيرية التي تعود بالمنفعة العامة على الجهة وأهليها — ويمكن للمرأة أن يكون لها رأى في طريقة صرف هذه المبالغ — أدركنا أهمية اشتراك المرأة في التعاون لتوجيه هذه المبالغ في الوجوه التي يجب أن توجه إليها بما جلبت عليه المرأة من الاستعداد للخدمات الاجتماعية خصوصا أن هذه المبالغ قد تجمعت فلا عناء في جمع اكسابات ولا تعب في جمع إعانات .

ويتبين مما يأتى طريقة توزيع الأرباح في آخر كل عام في الجمعيات التعاونية المصرية وهذه الأرباح تتكون من الفرق بين ثمن شراء الحاجيات بالجملة و ثمن بيعها بالقطاعى بعد سداد جميع النفقات .

أولا — يؤخذ مبلغ للاحتياطى لا يقل عن ٢٥ ٪ من هذا الصافي لسد ما ع ، أن يطرأ من خسارة على الجمعية وتقوية لمركزها .

ثانيا — يؤخذ بعد ذلك ما يكفى لدفع ٦ ٪ للأعضاء فائدة على أسهمهم .

ثالثا — يؤخذ جزء قد يصل الى ٢٠ ٪ أو أكثر من الصافي لأجل ترقية شؤون البلدة القائمة فيها الجمعية من الوجهتين المادية والأدبية .

رابعا — يوزع ما يتبقى على الأعضاء بنسبة المعاملات التي أبرمها كل منهم مع الجمعية وهو ما يطلق عليه اسم ” العائد ” .

هذا هو بإيجاز موقف المرأة المصرية من الحركة التعاونية المنزلية، وواضح منه أن التعاون يوفق بين مصلحتها الشخصية ومصلحة المجتمع في ميدان حوميدانها، فالتدبير المنزلى والخدمات الاجتماعية لها في نفسها كل اعتبار وهى أقدر من يتخدها .

فكيف إذن ينظم نساء مصر أنفهم للعمل في الميدان الجديد عليمين ؟ ؟ هذا الميدان الاقتصادي الاجتماعى الذى نزلت فيه المرأة الغربية من قبل وخصوصا الانجليزية فاستفادت كثيرا وأفادت أيا ما إفادة .

إن الكتابة في هذا الموضوع الآن تأتي في وقتها المناسب ، فقد تم تأسيس جمعية التعاون المنزلى للقاهرة . والآمال معقودة على أن تقوم هذه الجمعية بخدمة المستهلك العاصمة عامة ، وخصوصا ذوى الدخل المحدود ومتوسطى الحال منهم بالتزامها الاعتدال في الأسعار وبقضائها على التلاعب بالتجارة ، ورفعها مصلحة المستهلكين فوق كل اعتبار .

إن هذه الجمعية ليست فريدة في نوعها في مصر بل هي واحدة من نحو خمسين جمعية منتشرة في البلاد يبلغ عدد أعضائها ٨٠٠٠ ورأس مالها المدفوع ٤٥٠٠٠ جنيهه وتعامل في العام بنحو ١٥٠٠٠٠ جنيهه وهي ناجحة في مهمتها وتتقدم باطراد .

وإذا نحن تكلمنا هنا عن جمعية العاصمة التي لم تبدأ عملها بعد ، والتي تم تسجيلها أخيرا ببعض مئات من الأعضاء وبعض آلاف من الجنيئات كرأس مال فإنها ستكون أكبر جمعية بطبيعة الحال وستكون المثل الأعلى لهذا النوع من الجمعيات وما يملكه اليوم نساء العاصمة من سبل لتدعيمها سوف يسلكه غدا نساء المدن عامة لتدعيم جمعياتهن .

ويقوم بعض النساء المثقات من نساء العاصمة بإنشاء " جمعية التعاون النسوية " ويجهدون ينضم اليهن عدد كبير من النساء . ويتكون رأس مال هذه الجمعية من اشتراكات سنوية قيمتها ٢٠ قرشا مثلا . ويدير هذه الجمعية مجلس إدارة له رئيسة وسكرتيرة وأمينة صندوق ويستأجرن محلا في وسط المدينة .

وتتلخص أغراض هذه الجمعية فيما يأتى :

أولا — يشترك أعضاء هذه الجمعية في جمعية التعاون المنزلى للقاهرة كما أنهم يجتهدون في اشراك أكبر عدد ممن يعرفون من النساء .

ثانيا — يحصلن ما أمكن على لوازمهن المنزلية من مأكل وملبس من جمعية التعاون المنزلى وإذا لم يرتحن إلى معاملة الجمعية لا يكون هذا داعيا لانصرافهن عن معاملتها . بل يبحثن الأسباب ويعالجن الأمور . إذ الجمعية بأعضائها وما مجلس الإدارة إلا هيئة أقامها هؤلاء الأعضاء لخدمتهم في الجمعية .

ثالثا — يزرعن محلات الجمعية المنزلية من وقت لآخر ويراقبن تنظيم البضائع فيها وعرضها في قريساتها وطرق توزيعها على الزبائن . ومبالغ جودتها واعتدال سعرها . ونظافة المحلات وخدام الخدم وسرعة الانجاز واف البضائع الخ بحيث لا يقل كل ذلك عما في أحسن المحلات أتى من نوعها وينتقدن بأرائهن واقتراحاتهن إلى مجلس إدارة الجمعية المنزلية ويطلبن منه تحقيق الإصلاحات المطلوبة .

رابعا — أعضاء الجمعية النسوية من كل حي من أحياء المدينة يروجن الدعوة للجمعية المنزلية في جهتين ، حتى إذا ما بلغ الأعضاء منه عددا محترما ، يطالبن بإنشاء فرع فيه للجمعية المنزلية ويسعين في انجازه .

خامسا — تقف الجمعية النسوية على كل كبيرة وصغيرة من أعمال الجمعية المنزلية ويقدم مجلس إدارتها التقارير الوافية عن مواطن ضعفها ووسيلة العلاج كما أنه يقدم مشروعات لطريقة توزيع المبالغ المخصصة من صافي أرباح الجمعية على الإصلاحات الاجتماعية في العاصمة .

سادسا — يعقد مجلس إدارة الجمعية النسوية جلساته من وقت لآخر للنظر في مختلف شؤون الجمعية . وتتخذ الجمعية العمومية صرة في السنة لاستعراض مجهودات الجمعية وتقديم التقرير السنوي عنها واتهاز هذه الفرصة لدعوة قادة الرأي من رجال التعاون لمحاضرتهم في الموضوعات التعاونية التي تهمهم جميعا .

سابعا — اختيار مقر الجمعية النسوية من ناحية السعة والموقع والمواصلات بحيث يصلح لأن يكون ناديا نسويا يؤمه الأعضاء في كل وقت ، وفيه من الاستعداد ما يجعل الأعضاء يقبلن عليه لمقابلة بعضهن أو للاستراحة فيه أثناء قيامهن بشراء لوازمهن من السوق . على أنه من وقت لآخر تقوم الجمعية بهذا النادي اجتماعات عامة لإلقاء محاضرات تثير الطريق لمن في حياتهن .



هذه مقترحات لتنظيم جهود نساء العاصمة في حركة التعاون المنزلي الذي تبعد المرأة أكبر عميل له باعتبارها ربة البيت المسئولة عن تغذية أفرادها والقيام بتأنيته وتنظيفه . ومهمة الرجل كسب الرزق وتخصيص الجزء الأوفر منه للبيت . وإذا لم يكن هذا هو الحال في كثير من البيوت المصرية في الوقت الحاضر ، فإن الاتجاه العام هو نحو هذا الطريق ، وهو الطريق الطبيعي الذي يجب أن تسلكه المرأة المصرية الحديثة إذا أرادت أن تثبت شخصيتها وتعلي مكانتها وتشعر زوجها بأنها تعاونه في الحياة .

ابراهيم رشاد

تعدد الزوجات والطلاق

بقلم الأستاذ محمد المهياوي

أباح الله للمسلمين حلالين كلاهما مقدر بحسب الضرورة : تعدد الزوجات ، والطلاق ،
ففي إباحة تعدد الزوجات تقول الآية الكريمة تنبيها لهذه الإباحة "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة
أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا" وفي إباحة الطلاق يقول الحديث الشريف
تحذيرا من إيقاعه في غير حاجة موجبة « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

وتعدد الزوجات والطلاق كلاهما منظوران اليه في حكمة الاسلام على أنه مصلحة تنفيذ
في تقويم الحياة الانسانية كلما استدعتها أسبابها الصحيحة ، فيجب أن يكون ملحوظا أنه
لا شيء من الهوى الجاسع والنزعات الباطلة يدخل في شيء من هذه الأسباب .

وعلى من يريد أن يدرك حكمة الاسلام في إباحة هذين الشأين أن يجعل في مقدمة حسابه
طوارئ الحياة وأحداث الزمن ، وألا ينسى من هذه الطوارئ والأحداث ما يكون منظورا
منها في مشاهدة الواقع الحاضر ، وما يكون محتمل الوقوع في غيب المستقبل المجهول ، ثم أن يجعل
في مقدمة ادراكه أن الزواج مطلوب لتحقيق حاجتين تقوم كلتاهما من عمران الدنيا وصلاح
أمرها وأمر الناس فيها مقام الدعامة القوية والأساس المتين ، وأن الطلاق جائز لانقضاء ما عسى
أن يحدث من المعطلات لهاتين الحاجتين كلما وقف في الطريق ما يعطلهما .

ونحن الآن نجد حربا قائمة بين دول قوية ، ولا نجد من الأقدار كفيلا يخبرنا أن هذه
الحرب قصيرة المدى ، أو أنها باقية في ميادينها المعروفة وأقطارها المحددة ، فلن تطوق الشرق
والغرب بذراعيها ، ولن تمتد نارها فتحرق أجناس البشر وألوانهم في أقصى الأرض وأدناها ،
ومع ذلك نفرض أنها لن تتجاوز مكانها اليوم الى أمكنة سواه في أوروبا تطرقها غدا ، ولن
تغطي غدا هذه الأقطار الأوروبية الى أقطار غيرها في الغرب والشرق تشتعل فيها الى
ما شاء الله ، ونحن حين نفرض ذلك ملزمون أن نعرف أن من شأن هذه الحرب وكل حرب
مثلهما أن تؤدي الى ما يأتي :

أولاً — أن الشباب هم الذين يحشدون إليها جنوداً يحصدون الموت ، فإذا نضبت مواردهم حشد الرجال ممن توسطوا بين الكهولة والشباب .

ثانياً — أن هؤلاء وهؤلاء هم الكثرة المطلقة بين الذكور من أبناء الأمم ، فإذا بقي بعدهم أحد فأولئك هم الشيوخ القانون .

ثالثاً — أن النساء من جميع الأعمار لا يحشدن إلى ميادين القتال ليحصدن الموت ، ولكنهن بإقيات ليجبن نداء الواجب فيؤدينه وراء الصفوف حيث لا تطعنهن طواحن الفناء في المعركة الواحدة ألوفاً بعد ألوف وصفوفاً تتساقط فوق صفوف .

وليس في هذه المصائر التي لا محيص منها مع الحرب إلا أن تعود الشعوب المتحاربة وقد اختل فيها ميزان التعادل بين الرجال والنساء ، فيبقى النساء على كثرتهم البالغة حين لا يبقى من الرجال إلا قلة أظهر من فيها كهول يطرقون أبواب الشيخوخة وشيوخ يقفون على أبواب القبور .

ففي مثل هذا المصير كيف تصان الأعراض وتحفظ الأنساب ويؤمن الخطر على روابط الأخلاق العامة ؟ وكيف يعود بناء الأسرة وتيسر الوسيلة لتعويض الأمة ممن فقدتهم في الحرب شباباً تعتمد عليهم في الملمات ، وتدخرهم لمثل الغاية التي ذهب فيها المفقودون ؟ حل يكون ذلك والنساء غنيمات متروكات لا يجدن مع العجز ونفاد الحيلة ملعة يتزين برنج تجارتها غوائل البأساء غير أعراضهن ؟

هنا لا بد من تعدد الزوجات ، وهنا إذا لم تتعدد الزوجات في الحلال الطيب تعددن في الحرام الخبيث ، ثم لاتبث الأمة أن تفسد فيها الموبقات ، وتشيع في بنائها الاجتماعي أسباب الخلل ودواعي الانهيار . وهذا المثال من نتائج الحرب تمنع المشاهدة أن يتطرق إليه الشك ، وهناك أمثلة أخر تمنع الشك فيها هذه المشاهدة نفسها ، فقد يحدث أن تعقم الزوجة فلا تلد والرجل يريد من الذرية ما تريده الطبيعة وما تستدعيه مصالحة الأمة ، وقد تكون زوجته خير الزوجات ، وقد يكون هو لها خير الأزواج ، ولكن هل يخرج من الدنيا ولم تكتحل عيناه بنور الولد ، لأن سوء الحظ أعقم هذه الزوجة ، بل قد لا تأمن هي متاعب العيش مع زوج آخر ولا يضمن لها أحد أن تجد في أي زوج آخر ما تجده في هذا الزوج من حسن المعاشرة ، فهل تخرج من راحة محققة إلى شقاء متوقع ؟

وقد تكون الزوجة مريضة حتى لا يكتم حذاق الطب أن مرضها طويل، وأنه لا رجاء للشفاء منه ، أو أنه مريض يعطلها عن أهلية الزوجية ويبقى معها طول العمر ، فإذا يطلب من الرجل أن يفعل إذن ؟ هل يطلب منه أن يلقيها بالطلاق إلى فضاء الأرض ليكون الأم الأزواج وأشدّهم غدرا ؟ أو يطلب منه أن يخالف ما طبع عليه من الاستقامة والشرف فيغشى النساء في الحرام ويصبح وله بدل الزوجة الثانية عدة خيلات من بنات الهوى ، فلا تزال المسكينة تغص كل يوم من إشارات أمره بما لا تغص به من هذه الزوجة الثانية ؟ أو يطلب منه أن يرتد طفلا أو يصبح خصيا أو يتكلف أنوثة النساء ؟ . .

إن إباحة الزوجة الثانية في مثل هذه الحالة واجب لا يسقطه عقل ولا عدل ، ولا تأباه شريعة منصفة .

هذه الأمثلة ونحوها تقتضى للصحة الخاصة والعامة تعدد الزوجات ، وهو مع قيام المصاحبة التي تستوجب على هذا الوجه مقيد بشرط من الشروط النفسية التي يرجع الأمر فيها إلى الإنسان وحده ، وهذا الشرط هو أن تطمئن نفس الرجل إلى أنه سيعدل بين زوجته أو زوجاته ، وأن ينتهي من نفسه خوف عدم العدل ، فإذا انحرف بعد ذلك عن العدل في كل مظاهره فهو المسئول . فإن شاع في الناس الاستخفاف بهذه المسئولية كان على ولي الأمر أن يقيم حدودها ثم يردم إليها .

لكن بعض الناس في هذه الأزمنة المتأخرة توهوا أن تعدد الزوجات متعة أباحها الدين مطلقة من كل قيد، بعيدة عن كل مسئولية ، وبهذا التوهم وقعوا في سيئات الدنيا والآخرة وأوقعوا فيها من لاذنب لهم من الأبرياء والبريئات .

على أنه لا يفوتنا انصافا للجمع المصري أن نقول إن تعدد الزوجات لم يكن شائعا عندنا شيوع العادة يجري حكمها على كل رجل ، فالحقيقة أنه كان إلى ما قبل ثلاثين سنة ظاهر الشيوع بين من يستطيعونه في المدن والقرى من أعيان العلماء والتجار والمزارعين ورجال الحكم ، ومع ذلك كان شيوعه بين هذه الطوائف في أفراد لا يصلون إلى حد العموم ، فقد كنت أستطيع أن تجد في القرية خمسة بيوت في كل بيت أكثر من زوجة واحدة ، كما كنت أستطيع أن تجد في الحى الواسع من أحياء المدينة مثل هذه البيوت الخمسة ، ولكلك أيضا كنت تستطيع أن تجد من سوء العواقب في هذه البيوت ما تتأصل جذوره وتمتد فروعه فإذا هو يشمل القرية كلها أو الحى كله ، وإذا النعمة التي كانت تفيض على أهل القرية أو الحى من بيوت العزة والجاه تبدل ثقاء تعصف ريجه بالبيت العامر فيعود خرابا وتحرق ناره القريب والبعيد فيعود الجميع منساكرين ، ولما أخذت مدارك الناس تنهذب

مع الزمن وجعلت الحياة توحى إلى أفهامهم ما فيها من حقوق وواجبات ، وما تستدعيه هذه الواجبات وهذه الحقوق من تكاليف لامناص لهم من أدائها ولا سبيل إلى التحال منها ، نحدث في النفوس بواعث الرغبة في الزواج بأكثر من واحدة ، بل نحدث في نفوس المتبرمين بالحياة والمتشائمين من قسمة الحظوظ فيها والمستخفين بقدس الأسرة وشرف الحياة الزوجية كل رغبة في الزواج على إطلاقه ، وبذلك انحصرت تعدد الزوجات في حدود من بقايا الماضي القريب أو ممن لا يزالون يعيشون في هذه الأيام بالروح التي كان يعيش بها أولئك البقايا أمثالهم قبل ثلاثين سنة .

وليس المراد أن تعدد الزوجات أصبح وقد تقلص ظله ، بل المراد أن أصاليب الحياة وألوان التفكير فيها والنظر إليها في هذه الأيام أخذت تنسخه وتنسخ ظله معه ، على أن فيما بقي من عاداته الجارية كفاية للنصح بالعدل عنه ما لم تستوجبه ضرورة من الضرورات التي أسلفنا الإشارة إليها .

إن الزواج الثاني على الزوجة الأولى حين تكون مستحكمة محاسن الذات والأخلاق بالقدر الذي يجعلها بين مثيلاتها زوجة صالحة لا يكون إلا سيئة عظيمة ، ولا ينتهي — في الأعم الأغلب — وهو هذه السيئة العظيمة ، إلى غير الشقاء يتخله الرجل إلى أحله ثم يحمله أبناؤه من الزوجتين أو الزوجات إلى أبنائهم ، ثم لا يزالون يتوارثون العداوة والبغضاء ، ثم لا تزال العداوة والبغضاء تسرى في العروق سموما ، وتمشى في القلوب هموما ، وتنبعث من الصدور نارا تنهم صلة الأرحام ، وترتفع في الأيدي معاول تهدم ما بين ذوى القربى من مودة وإخاء .

قد يصدق الرجل إذا اعتزم وهو مقبل على الجمع بين الضرتين أو بين الضررات أن ينصف نفسه بالعدل بينهما ، ولكن الطبيعة البشرية لا تصدق إذا أوهمتها أنها ستوجهه إلى هذا العدل ، فالمرأة لا تجعل في الدرجة الأولى من اهتمامها أن يسوى الزوج بينهما وبين ضررتها في الطعام والشراب والكسوة والسكن ، لا ولكنها لا تهتم بشيء قبل اهتمامها بأن يعطيها من قلبه أكبر نصيب إن لم يكن هذا القلب لها وحدها ، فإذا قال الرجل إنه يستطيع أن يعدل بين زوجته أو زوجاته في فسحة القلب فقد كذب ، وإذا قال إنه يستطيع هذا العدل في فسحة الزمن فقد بالغ ، بل إذا ادعى أنه يستطيع أن يقيم هذا العدل في قسمة المتاع من أسباب الزينة والهبة والتعلي فقد ظن بنفسه فوق ما يستطيع ، ولهذا أبانت له الآية الكريمة ما ينتظره من الخطر وتركته يشترط على نفسه من الثقة بالعدل ما لا يشترطه عليه شرع ولا قانون ، إذا كان القلب هو مستقر هذا العدل وإذا لم يكن لحاكم ولا قاض أن يصل إلى هذا المستقر ليرى ما فيه ثم يتنضى على حسب ما رأى ، لا ولكن هذه الآية الكريمة أرشدته بعد

أن تركته حراً في امتحان نفسه الى طريق السلامة : ” فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا “ ، ففي هذا الارشاد ما يقرر أن الاختصار على الزوجة الواحدة أقرب الى عدم الجور ، وأضمن للنجاة من الظلم ، وأهدى الى الأمن في الحياة الزوجية ، وإلى السلامة من متاعب الضرائر وسوء الأثرين الأبناء ، ومع أن إباحة تعدد الزوجات مشروطة في الآية بشرطها وهو ألا يقوم بنفس الرجل خوف من عدم العدل فإن الله تعالى أبى أن يتركه لنفسه حتى لا يغلبه ضعف الطبيعة البشرية فقال بعد ذلك ” ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تيلوا كل الميل “ .

فانه يعلم أن هذا العدل خارج عن حدود الاستطاعة مهما كان الحرص عليه ، ولكنه تعالى يعلم أيضاً أن في الحياة طوارئ وضرورات لا تتحقق معها المصلحة إلا بتعدد الزوجات ففي مثل هذا التعدد الذي تقتضيه المصلحة المطلوبة ينهى الاسلام عن الميل كل الميل الى زوجة دون أخرى .

إلى هنا نستخلص النتائج الآتية :

أولاً — أن تعدد الزوجات ضرورة مقدرة بحسب أسبابها ودواعيها .

ثانياً — أن المصلحة التي لا مناص منها — سواء كانت مصلحة الجماعة أو مصلحة الفرد — هي مرجع هذه الأسباب وهذه الدواعي .

ثالثاً — أنه لا شيء من الهوى وشهوة النفس في غير حاجة صحيحة يمكن أن يكون سبباً مقبولاً لتعدد الزوجات .

رابعاً — أن للزواج بأكثر من زوجة واحدة مع الجمع بينهما أو بينهما لغير سبب صحيح آثاراً منها : تفكك الأمر وتمزق الثروة وتوارث العداوة والحقد بين الأبناء من أب واحد ومن يخلفونهم من أبنائهم وحفدتهم .

فاذا جاز أن يوصف هذا الزواج ونتائجه بوصف صحيح فهذا الوصف هو أنه حالة اجتماعية تحتاج من عناية المصلحين الى علاج حاسم .

محمد الهياوى

الامر قدوة لبناتها

للأستاذ سلامة موسى

عندما نقول إن الأم هي قدوة لبناتها لا يكون قولنا هذا كل الحق . لأن الحق أنها هي قدوة بناتها وأبنائها معا . ذلك لأن الثابت الآن أن الأم — دون الأب — هي التي تربي بناتها من الجنسين . وإن حظ الأب في هذه التربية أن لم يكن معدوما تماما فهو على الأقل صغير بالمقارنة الى ما سيناله الأبناء من أهمهم .

فقد ثبت أن ما نناله من تربية أصلية — وهي غير التعليم كما هي أكبر منه وأخطر — إنما نحصل عليه في السنوات الخمس أو الست الأولى من الطفولة . أي أن العادات والاستجابات تتكون في هذه السن وهي الأساس الذي يبنى عليه في المستقبل. ففي هذه السنين تتكون أخلاقنا التي قد تلامنا الى من الشيخوخة . فإذا ساء الحظ وكانت تربيتنا في هذه السنين الأولى من أعمارنا سيئة فإن هذا السوء سوف يلازمنا مدى حياتنا أو هو سوف يحتاج الى أعظم المجهود لازالة أثره .

ولهذا السبب يجب أن نكبر من شأن المرأة وأن نذكر أنها هي المربية الأولى والأصلية لكل من أبنائنا وبناتنا . وطبيعة جنسها تجعلها بالطبع أكبر أثرا في ابنتها من ابنها . ولكن هذا لا يعني أنها معدومة الأثر في الابن أو حتى صغيرة الأثر فيه . بل يعني أن طبيعة جنسها تجعلها ألصق بابنتها كما تجعل هذه أطوع لها وأكثر اقتداء بها من الابن . ثم هذا الابن قد يجد في مرافقة أبيه وفي أنهما من جنس واحد ما يجعله يلتفت إليه أكثر ويقتدى به أكثر مما تفعل البنت. ولكن يجب ألا نخدع أنفسنا وأن نظن أن الأب يؤثر في الابن أكثر من الأم.

وطامتنا يعرفون أثر الأم في البنت . ولم أمثال شائعة في ذلك وهي أمثال قد أثرها الاختبار . إذ قل أن تختلف الفتاة في أسلوب عيشها من الأم التي ربتها . ذلك أن لكل أم أسلوبا في العيش إلا يبدو فقط في تقديرها للقيم الاجتماعية والأخلاقية بل يبدو كذلك في تدبير المنزل ونوع الطهي وترتيب الأثاث والهندام ومعاملة الخدم . وأكثر من ذلك يبدو في معاملة

الزوج وبجاملة الضيوف . والفئة تعرف الدينيا لأول ما تعرفها عن طريق أمها . فهي تنظر إليها نظراتها وتتخذ ما يمكن أن نسميه "فلسفتها" منها لأنها تقدر القيمة الاجتماعية والأخلاقية التقدير الذي رآته منها ثم هي تتخذ أسلوبها في العيش لهجة في الحديث وإيماءة باليد أو الوجه ولونا في الهندام ومعاملة للغير . وكثيرا ما نرى المشابهة تقارب المطابقة بين الأم والبنت فنظن أنها ترجع الى قوة الوراثة . ولكن الحقيقة أنها ترجع الى القدوة أكثر من الوراثة .

فإذا شئت الأم أن تربي ابنتها التربية الحسنة السامية فكل ما عليها أن تجعل من نفسها أمامها القدوة الحسنة السامية . فلا تنهون في أنفها الأمور لأن هذا التأفة ستقله عنها ابنتها في دقة قد تحار منها الأم في المستقبل وتندم عليها . ولتنق الأم أن ابنتها حين تأكل في غير لباقة أو أناقة أو حين تتسلى بأكل اللب أو حين تطرح قشر البرتقال على الأرض أو حين تصخب وترعق مع الخدم أو حين تضحك الضحكة النابية إنما تنقل ابنتها عنها كل ذلك . وأن ما من سيئة تعزى الى البنت الا كانت لاصقة بالأم . وقد يقال هنا إن المدرسة أثرا لا ينكر في التربية . وهذا صحيح . ولكن هذا الأثر ضعيف جدا لا يكاد يؤبه به الى جنب الأثر الذي تركه الأم في ابنتها لأنها لازمتها السنوات الخمس أو الست الأولى من عمرها .

ولهذا ينبغي للأم أن تنظر في سلوكها العام في البيت وأن تدبر أثر ذلك في ابنتها . فإذا قعدت الى المائدة معها فلنذكر أن ابنتها — على غير وعى منها — تنقل عنها كل إيماءاتها وحرركاتها . بل هي سوف تحب ما تحب أمها من الطعام وسوف تأنف مما تكره أمها . ولا يمكن البنت أن تتعلم النهم في الطعام والرغبة في الحلاوى واعتياد أكل اللب الا إذا رأت مثل ذلك في أمها . ثم هي أيضا سوف تتخذ من اللباس ما تحبه أمها وتأثره على غيره من الأزياء . ثم هي بعد ذلك ستنظر الى أمها في معاملة الخدم وستعاملهم بالرفق أو العنف وبالجاملة أو بالخاشنة كما ترى من أسلوب المعاملة التي يلقاها هؤلاء الخدم من أمها . وهذه الأم تقرر بهذه المعاملة سعادة ابنتها أو شقاءها في مستقبل الأيام . إذ من منا لا يعرف سيدات شقين الشقاء العظيم بالخدم لا لأن هؤلاء الخدم قد ساءت طباعهم الى حد يتجاوز المعقول المألوف بل لأن ربة البيت تسئ إليهم في المعاملة .

ثم هذه الأم بما تقرأ أو بما تتلى سوف تفرس في ابنتها أسلوبا من اللهوى الفراغ . فليها أن تذكر حل هذا الأسلوب الذي تتبع هي بعد حسنا أم سيئا وهل ترضاه لابنتها أم لا؟ فهي إذا كانت تقعد الى ضيوفها للقليل والقال أو إذا كانت لا تقرأ غير التأفة من المجلات فإن ابنتها ستقل عنها هذا الذوق في "قتل الوقت" .

ثم هي في معاماتها لزوجها بالملاطفة والمحاسنة أو بالخاشنة والمناخبة إنما تعلم ابنتها كيف تكون الزوجة المستقبلية . وكلنا يعرف أن البيت الهادئ إنما يعود الفضل فيه الى الزوجة

المحادثة التي تتكلم بصوت منخفض فبنصت إليها المستمع ويتعود الأولاد منها هذه العادة .
أما الزوجة التي تحيل بيتها ندوة صاحبة من المرح والمرح فالأغلب أنها وصلت إلى هذه الحال
لأنها تعودت الصخب والمشاغبة والعنف مع الأولاد والخدم .

والأولاد الناجحون والبنات الوقورات إنما ينشأن في العادة في جو متزلى هادئ تحت
رعاية أم وقور ساكنة تجامل الخدم وتعف عن البذاء ولا تنطق إلا بصوت منخفض يحتاج
مستمعه إلى الهدوء فيقهر الجميع على التزام هذا الهدوء . وفي هذه الحال ينضج الذهن فيقبل
الابن على درسه وتقبل البنت على عملها في غير ضجة وتزول الخلافات أو تقل . وقد يتاح
للبيت هذا الهدوء وقت وجود الأب فيه للخوف والانتقاء . ولكن سرعان ما يعود المرح والمرح
والصخب والزعيق عند ما يخرج لأن الأم لا تضبطه . وعندئذ لا فائدة من هذه الهدنة التي
يقضيها الأولاد في الصمت وقت وجود أبيهم . لأنهم لن يتعودوا الهدوء منها إذ هم يرون
فيها نوعا من العقاب . ولكنهم يمتادونه إذا انفرس فيهم عادة من الأم .

الأم قدوة للبنات وللأبناء . فلنكن القدوة الحسنة .

غرر الدرر

— النصيح ثقيل فلا تجعله جدلا ، ولا ترسله جبلا .

— الحقيقة ثقيلة ، فامتعيروا لحقائق العلم خفة البيان .

— رب باك كضاحك المزن ، دمع ولا حزن .

— قبيح الدين ، نطق ففضح ، وصكت ففدح .

— ما نبه على الفضل الكاذب مثل الثناء الكاذب .

— ضيق الرزق من ضيق الخلق .

شوقي

النزاج حاجة نفسية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدق

هذا رجل يحكم أمره على مقتضى العقل والحكمة ، وقد أمليا عليه ألا يتورط فيما تورط فيه غيره ، فيتخذ الزوجة ويعقب الولد ، محملا نفسه تبعات ما كان أغناه عنها ، مشتغلا بهوم كان فارغ البال منها . فهو ثابت العزم على العزوبة ، يزداد بها كل يوم يقينا . وفي كل حين يحادله المجادلون ولم يظفروا بإقناعه فينصرفون عنه يائسين ، ولعلهم إذا خلوا إلى أنفسمهم كانوا به من المعجبين . ذلك مقتضى "العقل" .

وهذا شاب في عتفوانه صاحب لهو ومزاح . انفسحت أمامه ميادين اللذة ومجالها ، وواتته الفرص ومعضته طبياتها . وهو إلى ذلك من القلائل المجدودين فلم يتلف في سبيلها صحة ، ولم يهلك مالا ، وإنما كانت حياته ليلة قصف ، كلها طرب وضحك وعبث . هذا الطروب السعيد هيئات يخطر له الزواج ، وهيئات يفاتحه فيه أحد . وفيه لمثله التقيد بالزوجة وحمل هم العيال ؟ إنه - إلى خلو البال - متجدد العرس . وذلك أبلغ متعة في "الحس" .

حالان مستعصيان ولا عجب .

على أننا لانكاد نتقود حالهما ونميل إلى التسامح في أمرهما وإقامة العذر لهما حتى نسمع ذلك العجب :

إن هذين اللذين عرفناهما من أرسخ الغراب ، لم يلينا - بعد طويل الأمد أو قصيره - أن اتبها كغيرهما إلى الزواج .

فما القول ؟

أو نحسبها لعنة قضاء فينا وعدوى سنخف !

إننا ندع في هذا المقام الهذر والمزاح لقرر أن الجانب الأسمى منا لم يزل يغالب "العقل" و "الحس" حتى ظلب .

فالى جانب " العقل " الذى يأمر بالأناثية ، ولا يدل على غير المصلحة الشخصية ، تقوم
غريزة نفسية تدفع إلى العطف والتضامن والإيثار ومعاناة الجهد والمخاطرة بالدم من أجل
الغير وفى سبيل صلاح المجتمع وبقاء النوع . ولولا هذه الغريزة لما خاض عنا غمرات الوغى
وصمد لمكارها الجند المدافعون ، ولا استعذب طعم الردى الشهداء المؤمنون ، ولا احتمل
الأذى من أجلنا الهداة المصلحون ، ولا ارتقى علم ، ولا تقدم طب ، ولا تأسست منشآت
البر والرحمة ، ولا تعاونت الجماعات على تحسين نظام العمل وتقسيم الثروة ، وما إلى ذلك من
مقومات المجتمع وموجبات كمال الحضارة ، ولما كذت الأذهان وتوجهت المساعى لتأمين
المستقبل وكفالة الأجيال القادمة .

وهذه الغريزة الكامنة القوية التى تخرج الفرد من أناثيته ليخدم الجماعة فى جميع ما أوردنا
هى بعينها التى تدفع الفرد - شاء أو لم يشأ - إلى خدمة النوع والقيام على بقائه عن
طريق تكوين الأسرة .

ولئن كان الزواج فى ذاته تنظيماً للعلاقات الجنسية فى المجتمع ، فإنه - فى رسومه
وملابساته وآثاره - تهذيب لها وارتقاء بها ، فهو يخلع على العلاقات الجنسية قداسة الدين
واحترام المجتمع ، كما يدخل عليها الود المتبادل وروح التضامن والمشاركة على صفو الحياة
وكدرها .

فالزواج بهذين الاعتبارين انتصار على أناثية العقل وحيوانية الحس .

ولسنا نزع أن هذه الغلبة فيها القضاء على المغلوب . ولكننا على كل حال نخفف
حدثه ، ونحذ من شرته . فإذا الحس يلطف ويشف ، وإذا أناثية الفرد تنسج للأسرة .

يضاف إلى ذلك أن مطالب الأسرة حافز للرجل على مضاعفة العمل والإنتاج . والزواج
يد على الأعزب بأنه يعمل من غير ملل . فان ابتسامة لطيفة من طفله ترسم على الفم الصغير
الأورد لتسببه ما لا فاه طول يومه من جهاد ومشقة . ولما كان لابد للحياة من غرض ، فلن
تجد غرضاً أشيع وأدنى إلى طبائع الكافة من الأسرة . وليكن عمل هؤلاء لعيالهم ، فإنهم من
حيث لا يريدون إنما يخدمون بلادهم ، بما أبلوا من عمل ، وما أنجبوا من ولد . فعلى هذين
يقوم حاضر الدول ومستقبلها . وهما الضمان لعلو كلمتها وبقاء صرح عظمتها إلى أبد الأبد .

ولكن ، ألا نقول كلمة عن الحب ، ونحن بسبيل الكلام عن الزواج بوصفه حاجة

الحق أنه لا أمان للحب . فإنه أحيانا مثل حريق القش يشتعل ويتعالى لهبه ، فاذا بلغ الضرام مبلغه ، لم يلبث لحظة حتى ينهار صرحه ، ويخبر سعيه بسرعة يعز تصديقا . وعلى كل حال فإن الحب في غلوائه وحدته الموحجاء ، وما لا يرج يفززه من عقارب الغيرة ويعصف به من نوازيها ، غير موجب للطمانينة الى قيام بنان الأسرة عليه . وإنما يقوم البيت وتثبت دعائمه على ما يربط رجلا وامرأة من اشتراك الشعور والتقاء الذوق وتوافق المزاج .

وليدكر من يشفقون من تبعات الأولاد مرحلة العمر الأخيرة ، وما لا بد يقعد بهم وقتئذ من عجز ، وما يرين عليهم من وحشة ، فالأولاد مهما قيل في عقوبتهم ، الذخيرة يوم لا ذخيرة . وإذا تجاوزنا الجانب المأساوي الى العاطفي ، فهم قرة عين لا بائهم وبهجة قلب .

وإن الأب الفاني على فراش التزع يحود بالروح ، انما يذكر أولاده ويحرص على التفاهم حوله وهو يلفظ آخر نسيمات الحياة ، لأنه — لا ريب — يتغذى عن فقد الحياة بوجودهم ، ويشعر أنه يحسده وروحه حي فيهم . فهم الغزاء حين ينقطع كل غزاء .

هذا حكم الزواج ، وهو أمر واقع لا محالة . وعاجله خير من آجله . وهو — كما رأينا — حاجة نفسية لبني الإنسان في أوله وآخره .

عبد الرحمن صدقي

— هلكت أمة تعيش بفرد وتموت بفرد .

— من بنى بسلاح الحق ، بُنى عليه بسلاح الباطل .

— باني نفسه لا يبالي ما هدم .

— محاسن وجه الدار الخميلة ، ومحاسن وجه البلد الفتون الجميلة .

— من ساء خلقه اجتمع عليه نكد الدنيا .

— الطير لا تقرب أفقا فسد فضاؤه ، والحرية تهرب من بلد اختل قضاؤه .

— كاد صفيح الوالد يسبق ذنب الولد .

شوقي

هل أنت زوجة صالحة ؟

امتحان يسير

هنا ١٤ سؤالاً وضعتها مجلة "إيديز جورنال" الانجليزية لامتحان الزوجة . فيمكك أيتها السيدة أن تقرئها فإذا أجبت بنعم فاعطى نفسك درجتين ، فإذا لم تستطعي الاجابة بنعم فاعطى نفسك درجة ، وإذا أجبت بلا فاعطى نفسك صفراً . ثم اجمعي الدرجات فإذا كانت بين ٢١ و ٢٨ فأنت زوجة نموذجية ، وإذا كانت الدرجات بين ٨ و ٢٠ فلا يجوز لزوجك أن يشكو منك . أما إذا كانت بين صفراً و ٧ فعليك أن تراقبي نفسك حتى لا يتركك زوجك :

- (١) هل تذكرين يوم ميلاد زوجك كل عام ؟
- (٢) هل تذكرين على نفسك للاقتصاد بعض الأزياء الجديدة ؟
- (٣) هل مازلت تحبين زوجك كما كنت تحبينه أيام الخطبة ؟
- (٤) هل تتراين على رأيه حين يقول إن هذا الشيء غالى الثمن ؟
- (٥) هل تكونين بالبيت وقت عودته من عمله وهل يجد الطعام مجهزاً ؟
- (٦) هل في قدرتك تجنب الشجار وهل تكرهين سرد قصص الخلاف على صديقاتك ؟
- (٧) هل تحسنين الطهى ، وهل يحب زوجك ألوان الطعام التي تطهينها ؟
- (٨) هل توالين النظر في ملابس زوجك وتصلحينها ؟
- (٩) هل تواسينه وتخففين عنه عند ما تقع به ملامة أو حين يكون مهموماً ؟
- (١٠) هل تهتمين بهندامك في البيت بمقدار اهتمامك به خارج البيت ؟
- (١١) هل تقدمين لزوجك ما يشتهي من طعام أو شراب ؟
- (١٢) هل تسمحين لزوجك بأن يكون في مبالذله في البيت ؟
- (١٣) هل تمنعين عن الخروج عند ما ترين زوجك متعباً ؟
- (١٤) هل تحترمين النظام الذي يتبعه لمكتبه ؟

من ذكريات القرية

بقلم الآتسة ابنة الشاطئ

“في هذا المقال القيم ، نجلو الآتسة ابنة الشاطئ صورة رائعة من حياة الريف ، وتعرض بعض ذكريات مؤثرة تهز النفوس وتبعث فيها الحنين إلى القرية وسكانها ، ثم تلفت الآتسة إلى جميع المدينة وطفيان المادة عليها ، فتبف بأبناء القرية أن يعودوا إليها ليستردوا بعض النعم الروحي والسعادة الفطرية .”

المحرر

هذا حديث أكتبه في ليلة من ليالى الشتاء بالقاهرة ، ونفسي تفيض بالحنين إلى ليالى طيبة حلوة أمضيتها في الريف حول المدفأة ، تلمس الحرارة والدفء ، ونطيل الحديث والسمر ، حتى يثقل النوم أجفاننا فنحج إلى وادى الأحلام .

ولم تكن مدفأة أنيقة غالية توقد بالفحم الحجري ، وإنما هي بضعة أحطاب خشبية ، وقليل من أعواد الذرة الجافة ، تشعل في مواقد متواضعة رخيصة من النحاس الأحمر أو الفخار الرخيص ، وتترك حينا في فناء الدار حتى يهدأ لمبها وتطمئن الجمرات فيها . كانت مواقد رخيصة متواضعة ، ولكننا مع ذلك عزيزة علينا أثيرة عندنا ، قد شهدت أحلى ليالينا وأشبهاها ، واستمرت عليها نظرات الحالمين والذاهلين الشاردين ، وعكست ضحكات السعداء الخليلين ، وأنصتت إلى قصص السمار ومتاعب الرجال وأحلام الشباب وهذر الصبية الصغار .

كانت المساء يلم بنا مبكرا في الشتاء ، فنصمد لبرده القاسي ويمضى كل منا في عملا منجلدا نافذ المسر ، حتى إذا ارتفع لمب الموقد في فناء الدار وانتهت إلى أنوفنا رائحة الدخان الممرعا إلى الأنوف ندي ندائها ، وأحطنا بها في شيء من التراحم الرقيق ، ومددنا إليها الأكف نلمس عندها الدفء لأجسامنا المقروورة المرتعشة ، والحدوء لأعصابنا المكدودة المتعبة .

هناك في ذلك الجو الدافئ الفاتر ، كنا نحيط بالموقد فنحس نوعا غريبا من القرب والتآلف ، يربط بيننا جميعا حتى لنصبح قلبا واحدا يخفق في هذه الأنفياف الساهرة التي انحنى على النار في هدوء واطمئنان ! يشكو أحدها فيصنئ الآخرون إلى شكواه في عطف

ومواساة ، ويتكلم فينتصت له الباقون في رعاية واهتمام ، وقد يشرد أحدنا فيمضى في وادى الأحلام ويحدثنا ذابلا عن آماله الطوال العراض فينتسم له في رفق وإعزاز، ونأبى أن نوقظه من أحلامه الحلوة لئلا نرده إلى واقع الحياة .

هناك . . في ذلك الجو المادئ الكريم ، كانت أرواحنا تأتلف وقلوبنا تتقارب وخواطرنا تلتقى ، فتشيع فينا عاطفة فياضة من الحب والحنان ، تسمى معها متاعب الدنيا وأنقال الحياة .

كان ذلك في الأملس البعيد .

واليوم ؟ اليوم يمضى بنا الشتاء في المدينة فلا نار ولا سمر ، يشرد النوم عن عيوننا فيجتال عليه بعضنا بالإسراف في اللهو ويحتال عليه آخرون بالإسراف في العمل ، ويناوش البارد أطرافنا فيجتال عليها بقرب من المياه الساخنة تقذف بها بين الأغطية فتدفع أجسامنا ولكنها لا تدفع أرواحنا انظامنة المقرورة .

تشتت الشمل ، فلا نار ولا سمر ... تعطلت المواعد وأنهدت الزيران التي كانت تجذب أبناء الأسرة الواحدة ، وتمنحهم بركة الحب العائلي ونعيم الدفء والحنان .

تشتت الشمل ، وتفرق أبناء البيت الواحد هنا وهناك ، محرومين من المتاع الروحي ، لأن البيوت هنا في المدينة يعوزها الحب والدفء والحنان .

يأتى المساء فلا يهرع الناس إلى بيوتهم يقرون ويصطلون ، وإنما يتشردون في شتى النواحي ومختلف الجهات . هؤلاء هم الرجال يعمرون النوادي والمقاهي . وهؤلاء هم النساء ، نرى بعضهن قد انطوين على أخزانهن في البيوت يعانين آلام الوحدة الموحشة ، ونرى أخريات قد غادرن بيوتهن وملأن الملاحى والطرفات ، فإذا أوغل الليل وأدرك التعب هؤلاء وأولئك ، آووا إلى البيوت كما يأوى إلى الفندق مسافر أو حارس سبيل .

وتعفى الأيام ، وأفراد البيت الواحد لا يلتقون ولا يتقابلون ! ثم لا يزال أمرهم هكذا حتى تتحل الرابطة المقدسة التي تربطهم جميعا وهي رابطة الحب العائلي ، فيصبح الزوج غريبا على زوجته ، والأب غريبا على ابنه ، والأخ بعيدا عن أخيه .

عندئذ لا يصبح البيت مأوى حادثا يأتى الإنسان فيه أهله وعشيرته ، ويريح فيه الروح والجدد ، ويحدد فيه العزم والنشاط ، ويتمسك عنده الحب والحنان ، وإنما يصبح البيت فندقا ينزل فيه قوم غرباء ، يأوى إليه الرجل ساعة الظهيرة وبعض ساعات الليل ، ليأكل ويلبس وينام ! وتلك مطالب مادية تافهة يجانب المعنى الأسمى للبيت ، مطالب تقوم الفنادق بتهيئتها لنزلائها على أدق وجه وأتم نظام ، فإن لم يكن للبيت إلا هذا المعنى المادى فما أخيب الرجاء !

إن فضيلة البيت تبدو فيما يشيعه في النفس من راحة وسكون ، وما يهيئه للفرد من حب وأنس واطمئنان ، فإن أعوزه ذلك تساوى البيت والفندق ، وقد يمتاز الثاني بما فيه من الأناقة والنظام !

هذا تدركون لماذا فشلت أكثر البيوت عندنا في اجتذاب أبنائها فنفروا عنها ضالين مشردين يلتمسون اللهو والتسلية بعيدا عنها ، ثم يأوون إليها للنوم والطعام .

أيكم يشعر الآن نحو بيته — وفيه ما فيه من نعيم مادي — بما يشعر به ذلك الطير الذي ينزع إلى وكرة الذي درج فيه ، فلا يزال يلتمس الطريق إليه كلما ألم به الليل وأحاط به الظلام لا يرضى عنه بديلا ولا يعدل به أى نعيم ؟

أيكم يشعر الآن نحو بيته بما يشعر به الأعرابي حين يهبط حواضر المدن فلا يصرفه جمالها عن ذكرى بيته ، وما بيته إلا خيمة ضئيلة بين صخور تسفعها المسابرة ، ورمال تغلى الدم وتصهر العظم .

أيكم يقف على بيت له قديم ، وما أكثر البيوت المهجورة في مصر ، فيزهه الحنين إلى ماضيه ، ويهيج فيه الشجن لذكرى الأيام الخوالي والأمس البعيد ، ويقف تلك الوقفة الحزينة التي كان العرب البداءة يقفونها أمام أحجار ضائلة هي كل ما بقي من أطلال ماضيهم البعيد ،

لقد كان الواحد منهم يقف بالأطلال ، فيهر ويبيكي حتى ليكاد يبكي الطلل وهو جواد ! وقف زهير على أطلال داره بعد عشرين عاما ، وقف يذكر ماضيه ، ويسكب عندها دمة كبيرة حارت في مقتلته طويلا ولم يخففها الزمن في عشرين عاما .

ووقف النابغة الشيع أمام أطلال لدار نتم ، يحجها ويسألها عن فتاته الحبيبة ويتوسل إليها أن تعيد إلى سمعه ما وعته من أخبارها في ليالي الخوالي ، فاستعجمت دار نتم لا تكلمه ، ومضى الشيخ عنها ذاهلا محزونا !

ونحن الذين نزع من المدنية هذبتنا وصقلت حواشينا ورققت عواطفنا ، نحن الذين قد تأفف من خشونة العرب البداءة وجفوة الفلاحين الغلاظ ، نحن نمر اليوم بربوع أقمنا فيها زمنا وأمضينا فيها أياما وليالي من ماضينا وهو قطعة منا ، نمر بهذه الربوع فلا تهزنا ذكرى ولا يشجينا الحنين ، وإنما نتجاوزها عابرين مسردين ، لا نحني فيها ماضينا ولا يهفوننا الشوق إلى الأمس البعيد .

فيم هذا الجمود ؟

لا نسيء إلا أن أكثرنا لم يستمتع بالحلب العائلي بين هذه الربوع ! كان يقيم فيها كما يقيم عابر السبيل في أحد الفنادق ، ثم يغادره في الصباح فلا يعود منه ذكر ولا يعاوده إليه حنين !

ثم قست القلوب من بعد ذلك فأثقلتها المادة ، فلم تعد تحس حيننا إلى الحنان والدفء
المتزلى ، ولم يعد يميزنا من دنيا الناس إلا المطالب المادية ، أما النعيم الروحي فقد أسقطته
من حسابها فهو عندها شيء تافه يشبه خيال الشعراء وأوهام الحالمين .

وغدا أو بعد غد ، تدركنا الوثنية المادية فنقدس القرش ، ويصبح الرغيف وحده
هو السيد المتحكم في علاقتنا بالناس ، ووراء ذلك يهون المتاع الروحي والسمو النفسى
وكل شيء !

كلا أيها الناس !

يجب أن نحارب هذه الأوضاع الكاذبة ليسلم لنا جمال النفس ونعيم الروح .

يجب أن نردوا إلى البيت مكانته الأولى ، لكي يعود إليه أبناءه المشردون ، فيجدوا
الراحة والحب والاطمئنان ، ويضعوا عن كواهلهم أثقال الدنيا ومتاع الحياة ، ليعودوا
إلى الحياة بقوة جديدة وعزم جديد !

لقد جاء فصل الشتاء ، فهيئوا جلسات السمر البريئة حول المدفأة ، وأوقدوا النار
في البيوت ، فقد أفلحت النار من قديم في اجتذاب الضالين المشردين ، ومنحتهم نعمة
الاطمئنان والاستقرار .

أوقدوا النار لكي تدعو أبناء البيت وتجمعهم في مكان واحد بعد أن فزقت بينهم أكاذيب
المادة وأوضاع الحياة ، تجمعهم في جو هادئ يخدر الأعصاب ويدفع الروح ويفرى بالألفة
والوداد .

هكذا كان العرب البداءة يفعلون حين تهزم نخوة الكرم ، أو يلجئ إليهم الحزين إلى الدفء
والسمر ، هذا سيدنا موسى عليه السلام " آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا
إني آنست نارا لى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . "

وهذا حاتم ، فتي طيب ، كان إذا أظلم الليل يقيم غلاما له يوقد النار باليفاع لتدعو الذين
استبد بهم الجوع أو هفا بهم الشوق إلى الدفء والسمر فإذا تباطأ الغلام هتب به حاتم :

أوقد فإن الليل ليل قـر	والريح يا غلام ريح صـر
علـى يرى نارك من يـمر	إن جلبت ضيفا فانت حر

وهذا هو عدى بن زيد العبادى ، كان إذا ألح عليه السهم دتف بفتاته :

يا لبني أو قدى النارا إن من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا

وأنا الأخرى أهتف بكم أن توقدوا النار حتى إذا آتتها المتعبون المشردون فى جوانب
الوادي ، هفوا إليها من بعيد ، واتجهوا إليها يتمسون عندها الدفء والاطمئنان .

أوقدوا النار لدعوة المهدين الذين ألح عليهم السهاد ، والمتعبين الذين أنقلتهم تكاليف
العيش فى دنيا الناس ، والمحرومين الذين يشجيههم الظمأ إلى الدفء والسر .

فإذا التهبت الجرات الحمر فى المواقد ، وانحدر نداؤها فى ليلى الشتاء القاسية المظلمة ،
أصغى إليها المقرورون والمشردون ثم خفوا إليها سراعاً يلبون النداء .

بنت الشاطئ

— قلوب الرجال وحشية فمن نألفها أقبلت عليه .

— أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .

— لا تستح من إعطاء القليل فالحرمان أقل منه .

— العفاف زينة الفقر .

— من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليؤدبهم بسيرته
قبل أن يؤدبهم بأسانه . ومعلم نفسه ويؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ويؤدبهم .

على بن أبى طالب

البيت

ليس فندقا ولا مطعما

يحسن الانجليز حين يفصلون في اللغة بين المنزل وبين البيت . فالأول House أى البناء الذى يضم الأسرة والثانى Home أى الأسرة التى يجمعها الحب ويربطها الدم . والواقع أن لنا في اللفظين العربيين مثل هذا المعنى . فان بيت الرجل أسرته وهو غير المنزل الذى هو مسكنه . ومن الحسن أن نؤكد هذا المعنى لأن له مغزى اجتماعيا مفيدا .

ويزيد الانجليز على هذا المعنى معنى آخر وهم يشتركون في ذلك مع كثير من الأمم الأوروبية . فان للبيت عندهم اسما آخر هو لفظة Hearth أى الموقد الذى يجتمع حوله أعضاء الأسرة للاصطلاء . ويقابل هذه الكلمة عند الفرنسيين كلمة Foyer ولما كان البرد في معظم الأقطار الأوروبية يزيد على ثمانية أشهر في العام فان الموقد يجمع الأسرة نحو ثلثي السنة أو أكثر . وهم في هذا الاجتماع يتحدثون ويتسامرون . ومن طبيعة البرد أن يجمع ويضم ويكن ، في حين أن الحر أو الدفء يشتت ويجعل الافراد يبحثون الى العزلة ويقصدون الى الخلاء . ولعل لتوافق الروابط بين أعضاء الأسرة في الغرب أصلا في هذا الموقد الذى لا تخلو منه غرفة في منزل أوروبى . فان النار تجذب بالمتعها العين ، والدفء يريح الأعضاء ويرخى العضلات . فسا هو إلا أن يحضر الأب والأبناء حتى يتكاثروا أمام الموقد فينار الحديث وتتصل الأرواح فهذا يثبت شكواه وذلك يقص اختباره وآخر يشرح إحدى الحوادث . ومن هنا صار الموقد يعنى البيت .

وليس في مقدورنا أن نحيل جونا الى البرد الذى يعانيه الأوربيون . وإن كان لنا في الأشهر الثلاثة التى ينالها منا الشتاء ما يبرر إيجاد موقد لكل منزل . فان ليالينا الشتوية تضطرننا إلى أن يتفرد كل منا بفراشه بعيدا عن سائر أعضاء الأسرة . ولو غنى أصحاب المنازل بتوفير المواقد في منازلهم لما كلفهم هذا نفقات كبيرة . وهم بذلك يخدمون الاجتماع المصرى ويعملون لربط الأسرة .

ولسنا نغنى تبرير الحال القسائمة في كثير من العائلات حين نجد رب البيت يهجره الى القهوة والأندية والملاهى . ولكننا لانستطيع أن نتغافل عن قيسة الموقد في الاجتماع . هذا الموقد الذى لا يزال يجمع أبناء الريف عندنا .

وبعد ذلك نقول إن بيننا من الأزواج بل من الشبان العزب من ينظرون إلى البيت كأنه فندق أو مطعم . فيخرجون مبكرين إلى أعمالهم فإذا عادوا للغداء تناولوه في عجلة وصمت . ثم انكفأوا إلى الفراش للقبولة . وبعد ذلك يسرعون إلى الخروج حيث القهوة أو الملهى وإخوان الصفاء . ويعودون متأخرين إلى البيت للنوم . فاليوم عندهم فندق للنوم ومطعم للطعام . والزوجة والأولاد لا يتمتعون بالمؤانسة أو المسامرة التي هي من حقوقهم على الوالد . بل الوالد هنا يكاد ينسى واجباته نحو أبنائه بل هو ينتهي إلى أن يعتبرها "من شؤون الأم" ثم تتفاقم هذه الحال فيعتاد الزوج غشيان القهوة أو الملهى أو النادي كأنه لازمة لا يمكن الاستغناء عنها . ويعتاد الانفصال من الزوجة كأنه في طبيعة الأشياء . ثم تنتج من ذلك نتائج تتفاقم وتسوء بمرور الزمن .

وأولها أن المزاولة بين الزوجين تنعدم ويصير لكل منهما أصدقاؤه . وهذا ضرر كبير في ذاته . لأن الزوجة في حاجة إلى إرشاد الزوج الذي تعلم في أغلب الحالات أكثر منها وعرف من الشؤون العامة والخاصة ما لم تعلم ، فمن واجبه كما من حقها أن تستشير بحديثه وأن تنمو معه نموا ذهنيا وثقافيا . وهو حين يفعل ذلك يأنس بها كما يجد أن أولاده ينتفعون بهذا النمو في تربيتهم التي يزيد حظ الأم فيها على حظ الأب . والزوجة المصرية التي يتركها الزوج والتي تقتصر معاشرته لها على المساكنة دون المزاولة جدية بأن تتخلف عنه . ويزداد التخلف بمرور الزمن حتى تعود أغرب الغرباء عنه إذا تحدثت أو اشتركت معه في مناقشة ، لها عقائد خاصة وعادات خاصة وأسلوب معين في المعيشة لا يتفق والصورة التي ارتسمت في ذهنه من الأسرة فإذا وصلت الحال إلى ذلك شعر الزوج بالانفصال الروحي بينه وبينها ، وهو عندئذ قد يقع في مغريات تهتك الأسرة وتشتت أفرادها . هذا الترك للبيت يؤدي الأولاد لأنهم يحرمون من النصيحة الأبوية ومن ميزات الثقافة والخبرة التي يجب أن يمتاز بها على الأم . ويحس بكل زوج أن ينظر في نفسه : هل يرى مثل هذه الصورة تنطبق عليه ؟ وأن يسأل نفسه هل هو يعيش في منزل أم في بيت ، وهل هو يعامل زوجته كأنها زميلته ، وهل هو يقصد إلى تنويرها وتثقيفها بالكتاب والجريدة والمجلة والمرافقة إلى الزيارات وإلى المتاحف والمسارح ؟

ولسنا ننكر أنه يشق أحيانا على الزوج أن يحمل زوجته على النمو الذهني . لأنها إذا لم تكن قد حصلت على تربية ثقافية متوسطة فقد يصعب عليها في كثير من الأحيان أن تسير زوجها أو تنبع إرشاداته . ولكن عليه ألا يأس لأن اليأس هنا سيؤدي في المستقبل إلى الانفصال الروحي بينهما . وهو إذا ناب على المجهودات البذرة التي يزرعها سوف تبرز يوما إلى الحياة وسوف يجد عندئذ في زوجته زميلا بل صديقا يشترك في حديثه وملازمته .

فلكى نجعل منازلنا بيوتاً نجها ونؤثر الراحة فيها على القهوة أو المايهى يجب أن نتخذ من زوجاتنا زميلات لنا وذلك بتربيتهم حتى يرتفعن الى مستوانا فنشترك معهن فى هموم وشؤون تربطنا . فاننا الآن قد نترك الزوجة لكى تتحدث إلى صديق فى القهوة عن السياسة الخارجية أو الداخلية . فلم لا نتفق زوجاتنا حتى نستطيع أن نعلمهن وننيرهن فى هذه الموضوعات فنأتمنس بمحدثهن فيها ؟

يجب بعد ذلك أن نجعل البيت حاوياً لكثير من المسليات التى نغرينا بالبقاء فيه . وهذه المسليات تختلف باختلاف القدرة المالية . فان الأسرة الثرية تستطيع أن تشتري مائدة البليارد التى تكلف نحو خمسين جنياً . ولكن الأسرة الفقيرة يمكن أن تمنع بصندوق الزرد أو الشطرنج ، كما أن الكان أو البيان أو العود أو غيرها من الأدوات الموسيقية يجب أن تكون سلوة سامية لأحد أعضاء الأسرة أولم جميعهم . ثم هناك هوايات مختلفة تغرى بالبقاء فى البيت مثل تربية الأنهار والنباتات الغريبة وإيجاد ملعب فى الحديقة . وهنا يجب ألا نجعل قيمة الموقد التى شرحنأ أثرها فى أوربا .

والزوج الراقى لا يمكنه أن يستغنى عن مكتبة . وهو يحسن إذا جعل من نفسه مستشاراً فنياً يشير على زوجته وأولاده باختيار الكتب المفيدة . وصحيح أنه هنا يجد ركوداً ، ولما من الزوجة التى لم تتعلم . ولكن عليه بالمثابة ولا بد أن يظهر للجهود أثره فى المستقبل . كما أن عليه من وقت لآخر أن يحمل أعضاء الأسرة على زهرة مفيدة إما الى متحف وإما الى حديقة بعيدة . فان الفائدة هنا لا تقتصر على ما يعود على الصحة الجسمية من الحركة والنزه ، بل هناك فوائد أخرى فى مقدمتها أن يكون الزوج بين أولاده يربهم ويؤنسهم ويمتعهم بشخصه .

كذلك يجب إيجاد الأثاث المريح دون الأثاث المزخرف الذى يشيع فى بعض الأوساط عندنا . كما أنه يجب — إذا تيسر ذلك — تخصيص غرفة للجلوس . فان غرفة الضيوف تغنى بها الزوجة عادة ، لأنها تحب أن تبقى ناصعة تفخر بأثاثها أمام الزائرين . ولذلك ينبغي أن تكون بكل بيت غرفة تعد للجلوس حيث يجتمع أعضاء الأسرة . وعدم وجود هذه الغرفة قد يكون سبباً لكراحتهم للاجتماع . بل يجب أن تكون هذه الغرفة خير مافى المنزل جامعة لأسباب المسرة والراحة .

دعامتان قرينتان

لإصلاح حال الفلاح الصغير

للدكتور عبد أبو طائلة

أجريت تجارب كثيرة لإصلاح حال الفلاح الصغير ، والارتفاع بمستوى معيشته ، سواء في ميدان التعليم ، أو الصحة ، أو الزراعة أو الاقتصاد . وقد خرج ولادة الأمور من تلك التجارب بنتيجتين جمعتهما إدارة الفلاح المنشأة حديثا دعائمين أساسيين لكل إصلاح تبتغيه لأحوال الفلاح الصغير : (الأولى) أن وجوه الإصلاح المختلفة يجب أن تتم في وقت واحد (والثانية) أن الفلاح يجب أن يؤمن بضرورة الإصلاح وفائدته ، ويساهم فيه بالنصيب الأوفى ، وعلى الحكومة الإرشاد والتوجيه والمعونة المالية .

ولقد جرب التعليم وحده زمانا ، ونشرت المدارس الإلزامية في التري والكفور ، ولكن ما فائدة تهذيب النفوس وحشو الرؤوس ، إذا كانت المعدة خاوية وكان الجسم ضعيفا مريضا وهل يقبل الحائض على الدرس ويلتذ المريض بالعرفان ؟ وهل ليس الرغيف في هذه الحالة أمّن من الكآب ، والدواء أجدى من الحساب ، والكساء أنفع من جاء زيد وضرب بكر ،

كذلك جربت الصحة بوجهتيها : الوقاية والعلاج ، فردمت برك ومستنقعات ، وحوربت الملاريا وكوخت البلهارسيا والانكلوستوما ، ونشرت بين الفلاحين ارشادات صحية سمعوا فيها حثا على النظافة وحضا على مجانبة أسباب المرض ، وأقيمت مستشفيات ومراكز لرعاية الطفل ، وحى بالأطباء للعلاج ، وصرفت الأدوية بالمجان أو بأجر زهيد . ولكن الفلاح ظل رغم كل ذلك عليلا هزيعا ، كلما دعى الى الاستمسك بأسباب الصحة ووسائل النظافة ، حال فقره دون ذلك ، وكلما وصف له العلاج الناجع ، رده جهله الى العادات البالية ووضعه بين براثن المرض .

ثم جربت الزراعة والاقتصاد ، من إرشاد زراعى وتعاون بين الزراع ، فالتقيت على الفلاحين محاضرات ، ووزعت نشرات ومجلات . وأسست بينهم جمعيات بعد جمعيات ، ولكنهم بجهلهم لم يدركوا كنه الإرشاد ولم يدروا حقيقة التعاون ، وانقرضوا لم يستطيعوا حسن اختيار البزير ولم يستتركوا فى الجمعيات التعاونية .

وهكذا تجرد الدائرة منفرغة الحلقات ، اذا جئت الفلاح من ناحية العلم صدك عنه المراض والفقر ، واذا غمزته من جانب الصحة ردك الفقر والجهل ، واذا لمست من ناحية الزرع والنفع ذهب الجهل بكل فائدة ترجى .

ولقد تسمع بعض الدعاة المصلحين ينادون بأهل أصواتهم قائلين إن الفقر وحده أصل البلوى وسبب الشقوة ، فاذا كوخ زالت معه الجهالة وولت الأدواء بفعل ساحر . فلنجان هؤلاء الدعاة فى دعوتهم ، فليس أشق على نفوسنا من أن نرى الفقر فاشيا بين صغار الزراع ، وليس أحلى على أسماعنا من رنين الذهب ينثر على رؤوسهم نثرا ، ولكن ما قول اولئك الدعاة فى الفلاح عام ١٩١٩ و عام ١٩٢٠ حين ارتفعت أسعار القطن والحاصلات الأخرى اضعا فامضاعفة فامتلا جيبه وعمر بيته وكثر خيره ؟ أنراه يومئذ قد ارتقى صحة وارتقى علما وثقافة ، أم عجز الرضاء وحده عن تحسين الصحة وتنقيف العقل . وبقى الفلاح مريضاً رغم رغبته ، جاهلاً رغم يسره ؟ بل وقد أودى الجهل فى النهاية بكل ما كسب من مال ، فبدده فى أيام معدودات ولم يدخر منه ما يعينه على السنوات المعجاف التى تلت وقت العز والمناة .

الحق أن وجوه الإصلاح الثلاثة لازمة معا ، ولا غنى لأحدها عن الآخرين . فعلاج الفقر لا يكفى وحده ولا بد معه من العلم والصحة . والحال كذلك مع الصحة اذا عولجت وحدها ومع العلم اذا نشر وحده .

وانما يرتقى الفلاح ويرتفع مستوى معيشته اذا زاد دخله ، وعولج مرضه ، وثقف عقله فى آن واحد ، فإن هذه الثلاثة متوازنة يعاون كل منها الاثنين الباقيين ، فالرغد يساعد على حفظ الصحة واستيعاب المعرفة ، والصحة تعاون على زيادة الدخل وفهم الحقائق ، والعلم يهتكم بوسائل الكسب والاحتفاظ بالصحة .

وعلى هذا الأساس تعمل ادارة الفلاح فى سعيها لإصلاح حال الفلاح ، وعلى هذه العمدة الثلاثة نبت مشروع (المراكز الاجتماعية) الذى لم يثن الأوان بعد لشرح مراميه وتفصيل غاياته .

أما القاعدة الثانية التي يقوم عليها الإصلاح فهي إشراك الفلاحين أنفسهم فيه ، ويتخذ ذلك خطوات وأشكالا متتالية :

(أولا) إقناع الفلاحين بضرورة الإصلاح ونفعه .

(ثانيا) إشراكهم في إنفاذ الإصلاح قدر إمكانهم ومعاونتهم عليه بكل وسيلة .

(ثالثا) جعلهم يحرصون على الاستفادة من مشروعات الإصلاح وصونها من الزوال .

ولقد بوشرت إصلاحات حكومية كثيرة لفائدة الفلاحين ، ولكنهم بقوا عنها بمعزل عنها لأنهم لم يؤمنوا بداءة بضرورتها ونفعها ، ولم يساهموا في إقامتها تبعا لذلك الإيمان ، ثم لم يقبلوا عليها كل الإقبال المرجو ، ولقد قضت ظروف الفلاحين منذ عهد المسالك ثم منذ الفتح العثماني بأن يرتابوا في كثير مما يحينهم عن طريق الحكومة ، ولم يعلم أكثرهم أن العهد قد تغير من زمان بعيد ، فصارت الحكومة لا تشد غير نفعمهم وصالحهم . وإن يزول ذلك الوهم من أذهانهم إلا بإرشادهم وتوجيههم حتى يقوموا بالإصلاح المنشود بأنفسهم وبروا الحكومة تعاونهم على إتمامه بالمال والرجال .

أما قيام الحكومة وحدها بالإصلاح فإنه مهمات كبر فائدته غير مضمون الثمرة ، ولا مكفول البناء . وحل أتاك حديث برك ردمت ثم أعيدت بركا كما كانت ، وصهاريش لماء الشرب العذب أقيمت ، فلم يكده ينتفع منها أحد ، ومراحيض صحية شيدت فتركها الفلاحون الى شواطئ الترغ كما اعتادوا ؟

إنما يتم الإصلاح على الوجه الأكمل حين يؤمن به الفلاحون ويقومون به بأنفسهم ثم يقبلون على الاستفادة منه وصيانتته .

والإصلاح في هذه الحالة لا يكلف الا جزاء قليلا مما يكلفه لو قامت به الحكومة وحدها ودون اشتراك الأهالي فيه .

وخير ما يكون ذلك الاشتراك عن طريق الجمعيات التعاونية التي تجمع بين الفلاح الصغير والفلاح الكبير ، وتوحد بين مصلحة الأفراد ومصلحة المجموع ، وتشمل الخدمات المادية والاجتماعية معا ، والتي تمثل جهود الشعب الى جانب جهود الحكومة ، والشعب اذا أراد فعل ، واذا آمن أقدم ، واذا أقدم فلن يتعمده شيء عن سبيله .

فنلندا

” مترجمة عن مجلة ريترز دايجست “

”سبوي“ هم الاسم الشعبي لفنلندا، فهو الاسم المحبوب المتردد دائماً على كل له ان وكل فنلندي يحب بلاده ويستحوذ حبها على قلبه وآماله وأعماله . وتحاط الوطنية الفنلندية أحياناً بإطار غريب من المظاهر يشكك بعض الناس في حقيقتها . والفنلنديون شديداً الشغف ” بالسيفونيات “ الساحرة التي وضعها فنانهم الموهوب ” جون سيبيليوس “ ، وميلون إلى الرياضات العنيفة ، وبخاصة العدو مسافات بعيدة على النمط الذي رسمه بطلهم المحبوب ” بافونيرمي “ وكلتا الموايتين تصدر عن تعصب وطني عميق .

وفي وقت ما ، حاول القيصر إخماد الروح الوطنية الفنلندية ، وعمل على الفصل بين الفنلنديين والروسين ، ولكن هاتين المحاولتين كانتا تبوءان بالفشل كلما اجتمع الشعبان في الحفلات الرياضية الدولية التي كان يظفرونها الفنلنديون بفخر التفوق ، ولا تزال البطولة الفنلندية إلى الآن مصدر انتصار فنلندا في كثير من الميادين ، وكان المقدر لدورة عام ١٩٤٠ للألعاب الأولمبية أن تقام في هلسنكي (عاصمة فنلندا) لولا ظروفها السياسية الأخيرة .

وفي تلك الفترة المظلمة التي قاست فيها فنلندا الأهوال الجسام بسبب ثباتها على عقائدها الروحية الكريمة كان فنانها الأول ” سيبيليوس “ يوجه كل مواهبه ويجمع كل إحساساته الثائرة للذود عن حريتها ، وما لحقه الخالد ” فنلنديا “ إلا صورة رائعة عبقرية لبلاده الحية وإيمانها العميق بمثلها العليا ، ومن أجل هذا حاربه البوليس الفيصري أينما سمعه .

وجمعيات التعاون التي بلغ عددها ستة آلاف والتي تضم أكثر من ثمانمائة ألف عضو من الفنلنديين هي أبلغ دليل على وحدة جهودهم ، وتضامنهم الوطني الوثيق .

وللوطنية الفنلندية وجه آخر ، فالشرف الوطني ، الذي أثار حروباً عديدة هو من صميم الآداب الشعبية التي يتحل بها الفنلنديون . وليس أدل على ذلك من أن فنلندا نفسها قد سددت

خمسة ملايين من الجنيهات من ديون الحرب التي كانت في ذمتها للولايات المتحدة ، والتي يبلغ مجموعها ثمانية ملايين ونصفاً ،

ولفنلندا مناعة روحية عجيبة ، فعلى الرغم من السبعمائة سنة التي هي عمر اتحادها مع السويد لا تزال محفوظة بكامل شخصيتها التي ظلت دائبة على الاستمساك بها حتى وقوعها في قبضة القيصرية حينما كان نابليون الجبار يشعل نار الحرب في كل نواحي أوروبا فلما اندلع لهيب الثورة الحمراء شعرت فنلندا المظلومة بأن أجراس الخلاص بدأت تدق ، وبضربة باسلة حطمت الجيوش الروسية ، وطردت فلولها من كل شبر من أراضيها ، وما أشرقت شمس ١٧ يولية سنة ١٩١٩ حتى كان الفنلنديون في الطرقات والمنازل يرقصون ويغنون احتفالاً بقيام جمهوريتهم الجديدة .

والفنلنديون رجال صمت وتفشف ووقار ، لا تصرفهم تقلبات الجو القاسية المستمرة عن مبادئهم النبيلة سواء ذلك في النساء والرجال ، وإن خلق الجلد الذي يتميزون به هو مستمد من فطرتهم السمحة المشربة بالصبر والاحتمال ، وليس أعجب في هذا الباب من الحمام الفنلندي الذي يسمونه (ساونا) ، لتصور غرفة ضيقة مغلقة ، ليس بها إلا كوة صغيرة في السقف يتصاعد منها الدخان المنبعث من جمرات متقدة بلهيب أحمر خافت ، وبين تلافيف الضباب الكثيف نرى إذا استطعنا ذلك عدداً من الفنلنديين راقدين على ظهورهم يدلكون أعضائهم في ذلك الجو الخائق ، حتى تكتوى جلودهم ، وما هي إلا لحظات حتى يقفزوا من مراقدهم الصخرية الخشنة ليفطسوا متساقطين في بحيرة من ذوب الجليد وهم يرسلون صيحات الفرح والابتهاج ، وذلك في ظنهم يفسر قدرتهم الرياضية التي صارت جزءاً من طبيعتهم ، وقد بلغ من تسببهم بتقاليدهم أن احتفظوا بذلك الحمام بعد أن أدخلوا في منازلهم الوسائل الحديثة للاستحمام ، معتقدين أنهم إذا أهملوه ذهبت عنهم صلابتهم وقوتهم الفولاذية وحلت محلها الدمة والطرادة .

وفي السنين الأخيرة تحول نفورهم الى زيادة نسبة التعليم التي صارت تسعين في المائة فأصبح لهم بذلك شرف الجمع بين جمال الجسم وجمال الفكر .

وهلسنكي ، العاصمة الأنيقة الفسيحة ، تعتمد على نفسها في كل أمورها ، وهندسة البناء فيها تتميز بطابع الابتكار والقومية والجرأة ، والروح الديمقراطية اللطيفة هي السائدة بين سكانها الذين يبلغون ثمانية ألدنا من النفوس إذ تخفى فيها الفواصل الاجتماعية بين الطبقات وحتى قبل حصول فنلندا على استقلالها كان مباحاً لفتياتها الالتحاق بالجامعة والدخول في ميادين العمل المختلفة مع أن بقية دول أوروبا لم تكن قد أباحت مثل هذه الامتيازات للمرأة .

وعلى الرغم من تلك المدنية العريقة فإن بعض الأقاليم الريفية في فنلندا لا يزال نساود يرتدين الزي الفنلندي القديم ذا الأكام الطويلة "والمرايل" الفضفاضة والألوان الزاحية على حين أن نساء بعض المناطق الأخرى قد اقتبسن الزي الأوربي الحديث المتناز بالبساطة وسلامة الذوق ، كما اقتبسن معه طرق التجميل العصرية .

ولألحان "سييليوس" وقطعه الموسيقية الرائعة تأثير عميق في نفس الشعب الفنلندي فهو حين يسمعه ينسى أنوار المدنية الحافظة ، ويشعر أن "سييليوس" يتوده إلى قلب غابات فنلندا الكثيفة ، ويهيم به في أوديتها الناضرة ومراعيا الغزيرة ، ويسمعه تحرير المياه المتحدرة في حنو وجلال من القنوات المترجة المتشابكة ، ويريه رأى العين القوارب البخارية الرشيقة وهي تنخر عباب البحيرات الفضية ، كما يأخذه إلى الشواطئ السندسية حيث تسير النقالات النهرية الضخمة ، المشدودة بالحبال ، في صمتها الشعرى بين الشاطئين .

وفي هذا العالم الحافل بالطمع لا تنظر فنلندا القانعة إلى ما بيد غيرها ، ولا تريد فرض فلسفتها السياسية ولا الزراعية على دولة من الدول ، بل هى لا تشهى إلا أن تعيش في عزلتها الهادئة .

ولكن هل يستجيب العالم لرغبتها هذه ؟ . . ذلك ما يعرفه المستقبل وحده .

— عاتب أخاك بالإحسان اليه ، واردد شره بالإنعام عليه .

— من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلاومن من أساء به الظن .

— من كتم سره كانت الخيرة في يده .

— الناس أعداء ما جهلوا .

— من استقبل وجوه الآراء عرف مواطن الخطأ .

في قتلهم من تبر

فهل وقتنا من تراب ؟

بقلم الأستاذ محمد أبو بكر إبراهيم

المفتش بوزارة المعارف

تكاليف الحياة ، في الوقت الحاضر ، كثيرة ، ومطالبها متعددة ، وحقوقها وواجباتها تنمو وتتجدد على مر الأيام وكر الأعوام ، وهي طالفة بالضروريات والكاليات ، مليئة بشتى وسائل الرقى والتقدم ، وقد كثرت النظم والقوانين كثرة اقتضتها هذه المدنية الحديثة بسبب ما تفيض به من المنافسات ، والحوادث ، والحروب ، وتنازع البقاء ، وما إلى ذلك من ملائسات الحياة في العصر الذي نعيش فيه .

والعمر قصير ، وإن طال ، والحياة فسيحة المدى ، بعيدة الأمد ، والمرء بينهما لقي معذب فأيامه محدودة ، وساعاته معدودة ، ولكن آماله ، وحاجاته وواجباته لا تكاد تنقضي أو تنتهي إلى حد . وهو في كل ذلك لامناص له أن يماشى الزمن في تجددته ونمضته ، وسيره وسرعته ، فاضطر أن ينحصر شطرا كبيرا من عمره للتكوين والتهديب ، والثقافة والتعليم ليكون قوى الجسم كبير العقل ، عظيم الخلق ، كيا يستطيع أن يشق طريقه في الحياة وهو مسلح بأقوى سلاح . واضطر كذلك ، بحكم طبيعته ، أن يعدد الشطر الآخر من عمره للتزول في ميدان الكفاح الحيوى من أجل كسب العيش ، وجلب الثروة لنفسه وذريته ووطنه ، ثم لاثبت الشيخوخة أن تسرى في جسمه سرى ان السم في الدم ، فتضعف قوته ، وتنهك صحته ، وما هي الا عشية أو ضحاها حتى تجعله أثرا بعد عين .

كل أولئك ينطق بأن الوقت نفيس ، وأن قيمته عظيمة ، لأن العمر قصير مقسم ، والمطالب كثيرة عسيرة لا تنال إلا بدوام الكد والكسح والحرص على كل لحظة من لحظات الزمن الذى إن ضاع سدى فلن يعود أبدا ، وإن مر بلا عمل جرائية والفشل .

والوقت للعمل كالأرض للزراع ، إن حافظ الزارع على أرضه فأصلحها وفلحها وشقها ورواها ، اهتمت وربت وأنبت من كل زوج بهيج . وإن أهملها وأعرض عنها وتركها هامة خبثت منظرا وساءت نجها وأخرجت له الشوك والقناد والمشم والخطام . كذلك

الوقت إن حرص عليه الإنسان وعمل فيه بصبر وثبات ونشاط وحزم ، استفاد منه وأفاد . وإن بذر فيه ، واستهان به ولم يقيم له وزنا ، كثر له عن نابه ، ثم رشقه بسهامه ورماء بنباله ، واستعصى أن يعود أو أن يقف بين يديه فلا هو منه قد انتفع ولا هو عن أذاه قد ابتعد .

فما أشبهه بالكهرباء إن أحسن المرء استخدامها جاءت إليه طائفة مستسلمة فاستغلها في قضاء مصالحه وتحصيل مآربه ، وإن جهلها فأساء استعمالها تنوعت إلى صناعة قاتلة أو شهب فاتكة .

والأثم الراقية قد أدركت هذا جميعه ، وعرفت قيمة الوقت ، فحرصت عليه حرص البخيل على درهمه ، وانتفعت بكل فترة من فتراته ، وكل لحظة من لحظاته ، فأفرادها في شغل دائم ، وعمل متواصل ، بعزيمات صادقة وإرادات لا تهين ولا تفتر . حتى اتسم هذا التطور الحديث بالسرعة الحافظة ، والدقة الحازمة . وولى عصر الإبطاء والتكاسل ، وحل مكانه عصر المختبرات والمبتكرات التي توفر الزمن ، وتجعل البعيد أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، ليتوافر لديه مجهوده فينفقه فيما يعود عليه بالريح الجزيل في الوقت القليل .

وكان من نتائج هذا أن نعمت المجتمعات الراقية بأوقات عملها وفراغها فزاد إنتاجها المادي في الصناعة والتجارة والزراعة ، وتضاعف محصولها الأدبي في الثقافة والعلم والأدب والصحافة والتأليف . وشعرت شعورا حقيقيا بما في الحياة من نعمة ومتاع ومباح ، فأخذت منها بقبسط وافرو جالت في ميادينها الفنية والعلمية والرياضية والاجتماعية والخلقية توصلا إلى الكمال الإنساني المنشود .

وأقوى الأمم وأرقاها ، في كل عصر ، من نشط أفرادها في ميادين الكفاح فكانوا جنودا مجتهدة في تكوينها وإنشائها وتقويمها وإصلاح شئونها العمرانية والاقتصادية ، وقاموا بأكبر نصيب من الانتاج في أقرب زمن ، واقتصدوا الفرص فلم يضيعوها ، وقبضوا على ناصية الأيام فلم يغفلوها ، واستغلوا أوقاتهم فيما يعود بالخير والبركة ، وقدروا العمر حق قدره ، فأدوا الواجبات في أوقاتها ، ودبروا الأوقات لواجباتها ، وساروا على نظام محكم في عملهم وراحاتهم ، وفي كدهم وفراغهم وسائر مصروفات حياتهم . كما هو الواقع في كثير من بلاد أمريكا وأوربا .

ونحن ، المصريين ، قد أغوانا العيش السهل في البلد السهل ، فقلل استعدادنا للحياة القاسية ، وأصبحنا نستطيع الراحة والدعة ، ونستمرئ الخمول والسكون ، ونستعين بالوقت إن يمر ، وبالزمن أن يكثر .

فالمقامى بالقطر المصرى قد انتشرت فى المدن ، وامتدت إلى القرى ، وتهاقت عليها رؤاها تهاقت الفراش على النار ، يجلسون فيها ما طاب لهم الجلوس ، وينصرفون عنها ما طاب لهم الانصراف . كأنهم خلقوا لاليعملوا ، ولكن ليستريحوا ويكسلوا ، وكأن الدنيا لم تفرض عليهم شيئا من واجباتها ومسئولياتها ، وكأن الوقت لديهم من تراب لا وزن له ولا اعتبار ولا قيمة ، وكأنهم فى غفلة ساهون : يتقضون الساعات الطويلة فى الغث والنافه ، ويتنلون أوقاتهم فى لعب الميسر وفى غيره من المسليات المحرمة التى لا تفيد جسامهم ولا تشحذ ذهونهم بل تعود عليهم بالضرر الجسمى والعقلى والخلقى ، إذ تجلبهم يالفون السجى اللرام ومواصلة السهر والادمان عليه ، فيعجزون عن مزاولة أعمالهم ومباشرة واجباتهم .

ومنا من يرتادون الحانات فلا ينادرونها إلا وقد ذهب عقلهم ، ووهن عظمهم ، وطار لبهم ، وضاع وقتهم : " أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا وهم فى الآخرة هم الأخسرون " . ونرى فى كثير من القرى طائفة من الشبان قد تعوزوا إهمال مزارعهم ، والتسويق فى واجبهم ، واستكانوا إلى الجلوس طويلا : يتحادثون لا فى الشؤون الزراعية ولكن فيما يثير الأحقاد ، ويشمل نيران الفتن والبغضاء ، ويتعاونون على الاتم والعدوان ومعصية الدين والقانون ، وعاقبة ذلك التآخر والدمار ، وقد تكون بزج هؤلاء المعتدين فى السجون ، فيمضون فى غياهبها سنين لا ينوقون فيها سوى المذاب الأليم جزاء وفاقا . وفى هذا إضاعة لأوقاتهم وحياتهم .

ومن الناس من يسرف فى وقته ويضيعه فى تحقيق شهواته الجالحة ، ورغبة البهية فتتفقد ثروته ، وتضعف صحته ، ويسرع إليه أجله ، ويصير من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وهذا جراء من لا يعرف للحياة قيمتها ولا يحسب لاستقبال حسابها .

ومن المصرين من يتسكعون فى الطرقات ، ويجولون فى الأزقة والحارات ، ويعكفون على البث بالنظام ، والاخلال بالأمن ، وما كسة المازة والإضرار بهم . وتتألف منهم جيوش متمطلة إذ لا عمل لهم ولا صفة ولا حرفة إلا التعدى على حرمة النوازين الوضعية والشرعية والخلقية . وهم قد فسدت ضمائرهم وساء خيالهم وتصورهم ، فليس لهم هدف يرمون إليه ، ولا غرض يتجهون نحوه إلا إضاعة الوقت فيما يؤذيهم ويؤذى المجتمع الذى فيه يعيشون ، وإلى يتدسبون . ومن الطلاب من يبدأون حياتهم المدرسية باللعب والترامح ، وينظرون إلى واجباتهم نظرة تم عن الاستخفاف والاستهتار .

وإذا وقعت أبصارهم على الكتب المفترزة غضبوا الطرف دونها وألقوها جانبا بسخط وتبرم وانصراف تام عنها ، فلا رغبة تحفزهم ، ولا رهبة تدفعهم إلى مطالعتها واستذكارها . ولا تزال هذه حالهم على كر الشهور حتى تتضخم المذكرات ، وتتراكم الدروس وهم عنها في شغل شاغل . وكلما سرت الأيام ازدادوا تسويفا وتأخيرا ، وجهلا بها ، وكرها لها . حتى إذا ما قرب موعد امتحانهم فطنوا إلى عدم تأهيدهم ، ورأوا المصير السيئ انذى ينتظرهم ، فيحاولون عبثا أن يستوعبوا ما في الكتب ، وأن يحصلوا ما في المذكرات ويستذكروا المواد لا بالتفكير والتأمل والبحث ، لأن الوقت لا يتسع لهذا ، ولكن بالحفظ الآلى الذى يقتل المواهب ويفسد الملكات . فيدخلون الامتحان وأبصارهم خاشعة ، وقلوبهم واجفة . وأفستهم هواء .

عندئذ يجدون أن التسويق قد أضرهم ، وأن النجاح عزيز المنال ، وأن عدم الحرص على الوقت قد أحبط أعمارهم وأضاع آمالهم .

ولو شئت ضرب الأمثال المأخوذة من حياتنا الاجتماعية ما اتسع لها الوقت ، ولضيق دونها المقام : فالصانع والعامل والتاجر وغيرهم ممن يكونون جسم المجتمع المصرى يعوزهم أن يعرفوا أن الوقت من ذهب ، وأن الفرص الطيبة التى تمر لا تعود ، وأنه من الضرورى للنجاح فى هذه الحياة أن يدبر المرء زمنه تدبيرا حكيما ، وأن ينظم عمله تنظيما يعينه على الاتقان والسرعة .

والعاقل من اعطى بقول الشاعر :

إذا مرة فى يوم ولم أصطنع يدا ولم أكتسب علما فما ذاك من عمرى

محمد أبو بكر ابراهيم

— الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل .

— المقعد خير من القاعد ، والكسيح خير من الكسلان .

نفسية العامل

بين الاطمئنان والقلق

يعمل الفلاح في مزرعته بكديه، ويبذل في تسوية العمل وإنتاجه عافية جسمه، فهو إذن عامل ينطبق عليه من موضوعنا هذا ما ينطبق على عامل المصنع وسواه .

وما دام الفلاح والعامل كلاهما سيكون في مكان واحد من هذا الموضوع فسيكون تعبيرنا باسم أحدهما " العامل " تعبيراً عنهما معا .

وبعد ذلك فقد فرغنا من التسليم بالحقيقة الأولى في شأنهما، وهي أن كليهما يحتاج الى الإصلاح المتبع في مظاهر حياته المادية ، فالقرية وأوضاعها ومسالكها ودورها ، والماء الذى يشربه أهلها ، وكذلك مساكن العمال وما يتصل بها من ذلك ، تحتاج أن تنشأ من جديد وعلى التدرج نشأة تصبح بها بيوت أحياء لا مقابر أموات ، وتنظيم العمل فى مدنى ساعاته وفى حساب أجره وفيما يقوم عليه من علاقة بين العامل وصاحب العمل يحتاج الى أن يوضع فى ميزان العدل وضعا لا حيف فيه ولا إرهاق ، والتغذية الكافية والصحة الموفرة يحتاج فى تيسرها لهؤلاء الذين يعيشون فى قرية الريف وفى الحى القائم على أطراف المدينة الى عناية يعلم مبلغها من يعلمون أن هذا الذى يشق الأرض بفأسه ، وهذا الذى يبذل الصنعة بأداته ، كلاهما من الأمة بمنزلة العصب فى الجسم والدم فى العروق .

وقد توفرنا على العناية بكل ذلك ، وذهبت هذه العناية فى مختلف وجوهها مذاهب الجدل والنشاط ، وانتهينا بعد التفكير الى مشاريع التنفيذ ليجدوا كفاية حياتهم من الغذاء والدثار ، ولتنبأ لهم أسباب النجاة من سوء التغذية والملبس والمأوى وما وراء ذلك من تهديم الأجسام وضياح العافية .

ولكن الى جانب هذه الحقيقة التى أدركناها وشرعنا نعمل لتنفيذها حقيقة أكبر منها لا نظن أنها وقعت لأكثرنا فى حساب ، وهذه الحقيقة هى الحالة النفسية التى تستحوذ على قلب العامل والفلاح فى هذه الأيام والتى نخشى يوم ننصرف عن تمام الإصلاح المادى مطعنين الى نتيجه أن يعترضنا منها ما يجعل هذا الإصلاح قليل الجدوى ضئيل الفائدة .

ولأجل أن تصبح المسألة قريبة من التصور نفرض أننا أنشأنا للفلاح قرية جمعت بحسن تنظيمها كل ما يحتاج اليه فى حياته الريفية من أسباب الصحة وراحة البال ، ثم نفرض أننا نرى أخانا الفلاح وهو يسير على جسر الزرعة فى يوم شديد الحر عائدا من حقله الى قريته ، فهل نراه اذا اشتد به العطش أو ضايقه الحر لا يميل الى التربة فيعرب منها ليطفئ عطشه بما فيها من أقذار الماء ولا يلقى نفسه بين بلتها ليعترده بمائها الملوث بالجراثيم ؟ أو نراه يصبر قليلا حتى يصل الى القرية حيث ينتظره ما وها النى وحمامها التنظيف ؟

وكما نفرض هذه الصورة من الواقع فى شأن الفلاح نفرض صورة أخرى من الواقع فى شأن العامل ، فهب أن أخانا العامل استوفى غاية الانصاف فى تقدير الأجر وتحديد ساعات العمل وضمان التعويض لما يصيبه أثناء العمل من أخطاره ، وهذه كلها حقوق طبيعية واجبة الأداء والاحترام ، ثم هب أننا أردنا أن نراقبه بعد أن تستقيم له هذه الحقوق ، فإذا نراه يفعل فيما يزيد من فضلة الزمن على ساعات العمل ؟ وكيف نجده ينفق الأجر الذى لم يناله الا بعد أن سالت عليه عافيته قطرة قطرة ؟ هل ينفق فترة الزمن فى ثمرة ينتجها ، أو فى خير يوديه ، أو فى كلمة طيبة يستفيدها ؟ وهل يصون أجره عن الضياع فيما يشبع أحشاء الشيطان وأحشاء أهله وأبنائه خاوية ؟ وهل يضمن أسلوب حياته البيتية المألوفة أن يستمتع فى مسكنه الصحى الجديد المنتظم بحياة لا تتعثر فى مساوئ هذا الأسلوب المألوف ؟

ومع ذلك فهذا أيضا جانب مادى من جوانب حياته وإن كان مرجعه الى الحالة النفسية أو الى الطبع الثابت والعادة المستقرة ، أما جوانب الحالة النفسية المحضة فحقها من العناية والانتفات على قدر ما يؤدي اليه نسيانها من الخطر وسوء المصير .

لم يعد العامل المصرى محجوبا عن الدنيا ، فهو يقرأ ويسمع ويدرك مما يسمع ويقرأ أن مدى الحياة أبعد من أن تحده فى مصر حدود المكان والزمان ، وقد أصبح يتحدث فى الشؤون السياسية العامة ويزعم أنه يفهمها وأن له فيها رأيا يؤمن به إيمانه بصحة فهمه ، وأصبح يتحدث فى شئون العمل والعمال وفيما يعترى هذه الشئون من مذاهب وآراء ، وأصبح يتخذ من حركات العمال ومذاهبهم فى بلاد الغرب مرآة يرى فيها نفسه ومصيره وقيس عليها آماله ويمدد بها اتجاهاته ، ولنا نجعل أن نطاق تفكيره فى هذه النواحي لا يزال ضيقا ، وأن

عامل الفلاحة في الريف أقل التفاتاً إليها وأضعف عناية بها من عامل المصنع في المدينة ، ولكنها موجودة على كل حال وجوداً لم تعد معه بذرة جافة ، بل لم تعد بذرة يمنحها توهم عدم صلاحية التربة من أن تنبت وتتمو وتصبح شجرة لما جذع ضخم وفروع متكاثرة ، فهذه البذرة الموجودة فعلاً هي التي نريد أن تعالجها عناية المصلحين لا على أن تردّها عدماً — فذلك فيما نظن مطلب عسير المثال — بل على أن تحيطها من أسباب الوقاية بما يعمل بها عن طريق الخطر .

وقد تسأل عن هذه الوقاية ماذا هي وكيف تكون أسبابها ؟ فنقول : كان العامل المصري يحمل بين جنبه من إيمان قلبه وطمأنينة نفسه ضمان القنوع والهدوء ، فلما أوشك أن يفقد هذا الضمان أوشك أن يفقد هدوءه وقنوعه خداع ما يرى ويسمع .

ترجع النهضة الحديثة في مصر إلى همة محمد علي الكبير ، ولا يرتاب أحد في أن سواعد العمال وجهود العمل في الزراعة والصناعات كانت عماد هذه النهضة في فجرها الصادق ، وقبل ذلك كانت جهود العمل وسواعد العمال هي التي رفعت شواخ الآبار في عصر المماليك وفي العصور التي سبقتهم مما لا تزال تنطق به المآثر الضخمة والمشاهد الخالدة ، وكان أولئك الذين خلدوا بأيديهم هذا المجد العظيم عمالاً وصناعاً مصريين هم السلف الطيب للصناع والعمال المصريين في هذه الأيام ، ونحن لم نزل نرى في هذه الآثار أمثلة عجيبة لجهود الشاقة المضنية التي رفع بها أبطال العمل في تلك العصور أركان هذا بد ، وقد كانوا مع ذلك قانعين من الإيمان وطمأنينة القلب ورجاء المثوبة المنتظرة في الدار الآخرة بما يملأ نفوسهم سلوة وعزاء ، لأنهم كانوا يستمدون من هذا العزاء وهذه السلوة صبراً لا ينضب معينه وقوة لا ينتهي جديدها .

ولكن عمالنا في هذه الأيام أصبحوا وحظهم من منيع العزاء والسلوة ضائع أو مرشك أن يضع ، وبذلك صاروا عرضة لما يتراءى لهم في الآفاق البعيدة من ختل المذاهب البراقة والآراء الجامحة ، ولم يعودوا يتذكرون أن كل شيء في هذه الحياة نسبي ، وأن الله الذي خلقهم للعمل وشرفه والصناعات ومجدها ، أبقى إلا أن تكون لهم مناعة أجسام يكفيهم معها الثوب أو الثوبان حين لا يكفیان أصحاب الأجسام المترفة ممن يكونون في الحياة العامة بالعقول والقلوب لا بالسواعد والآلات ، كما أبقى إلا أن تكون لهم معدات تهضم المدس والبصل ونحوهما من الأغذية التي تجل فائدتها وترخص قيمتها مهما انتفضت عنها شهوة النفس حين لا تلتهم معدات المترفين غير الأغذية التي تقل فائدتها وتغلو قيمتها ولا تنقبض عنها شهوة الآكلين .

أما سبب هذه الحالة الطارئة التي تبدلت بها نفسية العامل المصرى ، فهو أن محيط الحضارة العصرية دلس عليه حقائق الحياة وغشه فيما تقوم به علاقات الطوائف بعضها ببعض من روابط وفروق ، وفيما تقتضيه هذه الفروق والروابط من دفع وجذب وتقارب وتباعد . وقد كان من الخير أن يبقى على سجيته الهادئة المطمئنة ليمتدح من هذه النفس موافقا لهذه الطبيعة المصرية التي تمتاز بالرزانة والهدوء ، ولكن هذا الخير الذى كان واجبا أن يبقى وأن يصان لم يلبث أن عصفت به هذه الريح نفسها التي عصفت بإيمان القلوب فسلبتها راحتها الكبرى ، وسدت على النفوس سبيل الرضا فخرمتها نعمة الاطمئنان ، وملأت الصدور حرجا وضيقا فلألت الجوانح تبرا وقنوطا ، على أن هذه الحالة النفسية لا تزال غير مستعصية ولا معضلة ، فإذا لم نتداركها منذ الآن بوسائل العلاج وأسباب الوقاية فقد لا نأمن أن تصبح للعمل والعمال في مصر مشكلات يحار فيها رجالنا المصلحون حيرة أمثالهم بمثيلائها في بلاد الغرب .

ومع ذلك فالشأن مختلف عندنا وعندهم ، فهناك لا نرى في ميادين الكفاح غير المساعدة يعيط طغيانها بتفكير العقول وهوى القلوب وعمل الأيدي وخطوات الاقدام ، حتى لم يبق للمعانى الروحية في هذه الميادين سلطان مطاع ولا أثر محمود ، ومن هذه الناحية يستطيع دعاة الإصلاح الغربيون أن يجدوا لأنفسهم عذرا مقبولا ، ولكنهم مع هذا العذر الذى يسعفهم به واقع الحياة لم يكفوا عن محاولة العلاج رغم ما يعلمونه من قوة التيار وشدة انحداره عسى أن تلتوى طريقته ويخف اندفاعه .

غير أن المسألة لا تزال عندنا كما قلنا في صدر هذا الكلام بذرة جافة ، فعليا أن ننظر هل تجد هذه البذرة تربة صالحة تنمو فيها ؟ وهل بلغ بنا ضغط الحياة مبلغا تنفق به هذه البذرة عن العنصر الذى تنبت منه ؟ وهل في مصادر حياتنا الطبيعية من البخل والجفاء ما تقوم به المغالبة على العيش مقام المعارك بين المتقاتلين ؟

كنا نقول قبل اليوم إن بلادنا زارعية ، فمشكلات العمل والعمال مأمونة فيها ، وكان هذا القول صحيحا على وجهه يوم كانت النهضة الصناعية والعملية لا تزال سرا من أسرار الغيب ، فإذا صح أن هذه البذرة الجافة لا تجد لها تربة صالحة بين محيط العمل في فلاحه الأرض وزرعها فقد يصح أن تجد هذه التربة في محيط النهضة الصناعية وفيما تستكفله حاجتنا الحربية والاقتصادية لهذه النهضة من الامتداد والسعة وتراعى الأطراف .

والواقع أن مصادر الحياة في مصر لا تعرف البخل والجفاء ، ولكن الواقع أيضا أن كرم هذه المصادر ولينها أصبحا مدخرن لمجد الدولة وللمستقبل العظيم الذى نتطلع إليه ، أى للأعباء الثقيلة والتكاليف البالغة التي ألقتها على عاتق البلاد حاجتنا الحربية والاقتصادية .

فبأى شعور إذن نريد أن يقبل العامل المصري على هذا المستقبل الذى طالعتنا مقدماته؟
هل نرى أن يقبل عليه بشعور النفس المادية وإحساس الضمير الجاحد فيصبح فريسة للتبرم
والقنوط وتصبح الأمة معتلة منه بما يمثل به العرق النابض والعضو المتحرك؟ أو نرى أن
يقبل عليه بإحساس الضمير المؤمن وشعور النفس المطمئنة فيصبح سعيدا بنفسه وعمله
وتصبح الأمة صحيحة منه بما تصح به النفوس والأبدان؟

إن أوجب ما يجب من حق العامل أن نوفر له أسباب الأمن والسلامة في نفسه وصحته
وعيشه، وأن نمكنه من أن يوفر لأهله وأبنائه حاجتهم من هذا الأمن وهذه السلامة، ولكن
أكبر من ذلك وجوبا أن توفر الأمة لنفسها في شخصه سلامة الاتجاه وأمن السبيل، فتعيد
إليه صدق إيمانه وترده إلى ما في الإيمان من طمأنينة القلب وعزاء النفس ومقاولة الشدائد
بالصبر والرضا وصدق اليقين.

وبعد، فلا بد لنا أن نلاحظ مسألة اقتضاها، فيما نعتقد، تاهب المصلحين على إسعاد
العالم بأقصى ما يتصورونه من وسائل الإسعاد، وهذه المسألة هى أن الدعاة القائمين إلى
جانب العمال مقام الانتصار لهم لا يقتصرون في المبالغة ولا تسلم أصواتهم من اقتراض الآمال
التي تفتيح لها القلوب وتعلق بها الأوهام في حين أن الجهود قد تقصر عنها وأن الزمن قد
لا يسمح بها.

ولا شبهة أن المطامع تمتد في النفوس وتستبد بها بقدر ما يمتد لها من حبال الأمل على
ألسنة الدعاة والمفكرين، فإذا وقفت عوائق الزمن في الطريق أو نفذ ما في وسع الطاقة قبل
الوصول إلى الغاية المشتهاة كان رد الفعل بذلك غير مأمون العاقبة، فقد تتوهم النفوس حينئذ أنها
أصيبت بالحرمان من غير حق فيتسلط عليها القلق وسوء الظن وتصبح مستعدة لقبول الدعوات
الهدامة والآراء المظلمة.

ولهذا يحسن بكل من يدعو إلى إخلاص لهذه الأمة والحرص على مصلحة العمال إلى
العمل في هذا الميدان أن يكون رفيقا في دعويته وتفكيره، وألا ينسى مستقبل العمال كلما
فكر في حاضرهم.

أقلل وأكثر

عن مكليرى نيوز

أقلل من الطعام	وأكثر من المضغ
وأقلل من الركوب	وأكثر من المشى
وأقلل من الملابس	وأكثر من الاستحمام
وأقلل من الهموم	وأكثر من العمل
وأقلل من الكسل	وأكثر من الرياضة
وأقلل من الكلام	وأكثر من التفكير
وأقلل من التبذير	وأكثر من الإحسان
وأقلل من التوبيخ	وأكثر من الضحك
وأقلل من النصح	وأكثر من المثل

الشيخ المتصاى

أىرا الشيخ المهوالم المقلذ ؛ ما غرك بالسن حلى لىست للصبا ثىابه ، ونازعت حفىلك
شبابه ، إنما مأك فى هذا البرىق المزور ، وهذو النضارة المعطنة ، كمثل الضرس
المحشو المكسو ، نزع منه العصب ، وخلع عله الذهب ما

”شوقى“

قواعد النجاح

وضع "أوتوكاهن" هذه القواعد العشر التالية للنجاح :

- (١) اخ من كلامك عبارة "تأدية واجب" :
- (٢) فكر واستعمل دماغك كما تستعمل عضلك .
- (٣) تذكر أن أحسن ماتلك هو اسمك وصيتك .
- (٤) استعمل خيالك .
- (٥) تعلم الصبر وانتظر الفرصة .
- (٦) أحبب العشرة وجمال الناس ولا تنتقص الكفايات .
- (٧) ابذل مجهودا ولا تخش شيئا مل صححتك من الجهد .
- (٨) ليكن لك اهتمام نشيط في المسائل العامة .
- (٩) قابل إخوانك في صراحة ونزاهة . ولا تقف موقف الجندی الشاك في الناس .
- (١٠) اذا نجحت فكن صبوراً مصالحاً . ولا تتبجح ولا تتظاهر .

من حكم الإمام علي

- إذا أُقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبتة محاسن نفسه .
- خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم ، وإن عشمحنوا إليكم .
- إذا قدرت على صدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .

إلى المسئولين عن الفلاح

لنا على الفلاح مسئولية لعله يؤديها خير الأداء ؛ فتجن الذين يتناولون من كد الفلاح غلة الزرع والسقي والحصاد ، نحاسبه على هذه الغلة حساب المسئول ، وهو لا يملك بمقتضى موقفه إلا أن يؤدي لنا حساب هذه المسئولية .

وللفلاح علينا مسئولية التفت دعاء الاصلاح إلى جانبها المادى فجعلوا يحسنون أداءها ، ولم يلتفت سواهم إلى جانبها التهذيبى مما تحققه القدوة الطيبة قولاً وعملاً ، فلم يؤدوها أولم يحسنوا أداءها على الأقل .

ونريد بهؤلاء كل من يصح أن يوضح فى هذا الجانب موضع المسئول مباشرة عن الفلاح . والمسئولية فى هذه الناحية متدرجة على مقتضى قرب الصلة به . فمالك الكبير الذى يعمل الفلاح فى أرضه يحمل هذه المسئولية قبل أن يحملها غيره ، وماذون القرية الذى تيسر له وسيلة الموعظة الحسنة أكثر مما تيسر لحامل الفأس . وسائق المحراث توجه إليه المسئولية قبل أن توجه لسواه ، والأمين الوجيه والعمدة صاحب النفوذ ومأمور المركز ورجاله يجيئون فى حمل المسئولية متتابعين ، ثم تتركز هذه المسئوليات فى يد المدير ، لأنه هو المسئول أولاً عن مراقبة هؤلاء جميعاً ليرى هل أبرأ كل واحد منهم ذمته فأدى ما هو مسئول عنه ، ولينظر كيف يوجههم إلى خير الوسائل لتأتى النتائج طيبة نافعة ، وهو المسئول ثانياً عما عليه هو مما يتعلق بمسئوليته الخاصة .

إن المالك الكبير يطلب من الفلاح أن يرضيه بحسن العمل فى أرضه ليأخذ محصولاً حسناً ولكن حل طلب من نفسه أن يرضى الإنسانىة بحسن رعاية هذا العامل المكودود فى عيشه وصحته وفى عيش أهله وأبنائه وصحتهم ؟ قد يمر صاحب الأرض بين مزارعه ليرى ماذا يفعل هؤلاء الفلاحون ، وقد يشاهد أحدهم وهو يتلوى من شدة الألم والفأس فى يده يضرب بها الأرض ، وقد لا يفتيق منه أن فلاحه هذا إنما يتلوى من الأوجاع فى أمعائه أو كبده أو طحاله ، بل قد لا يحفل كلما رأى امتناع لونه وهزال جسمه وانتفاخ بطنه أنه فريسة البلهارسيا

أو الانكسار أو البلايا أو المآلاريا، ومع ذلك فهل أحسن توجيهه فأعفاه من العمل ريثما يرسله إلى الطبيب أو ينصحه بالذهاب إلى المستشفى أو يوصى به أطباء العلاج خيرا؟ أصدق الجواب أنه لم يفعل ذلك فرجاؤنا منذ الآن أن يفعله .

أما مأذون القرية فلا يرضيه من الفلاح إلا أن يقبل يده إذا صاحفه وأن ينهض قائما إذا أقبل عليه، وأن يزيل له العطاء إذا عقد له عقد زواج، ولكن هل راقب الله والمرءة فيه فوعظه بالحسن ونصح له بالمداية والترحم معه الدلالة على طريق الخير؟ هنا أيضا لا يصدق الجواب المثبت، ولا تننى على حضرة المأذون أكثر من أن يجود بهذه الموعظة .

وأما العمدة فيجب من الفلاح فوق الاحترام المبدول والتوقير الدائم أن يعترف له بالسيادة المطلقة والجاء العريض، ولا يرضيه إلا أن يهتف لركابه، ويخشع عند بابه، ولكن عمدة هذه الأيام أصبح - في الأعم الأغلب - بصيرا بما يضر الأحياء وما ينفعهم، كما أصبح خيرا بأوضاع الحياة وأساليب العيش في قريته خبرته بذلك في بيته، حتى لا يكاد يمر يوم من أيامه دون أن يرى صبيان القرية وهم يخوضون بركتها الرأكة ومستنقعها القذر، أو دون أن يشاهد أطفالها وهم في حبوهم بين الأقدار يرفعون إلى أفواههم أدوات البهائم وقطع الوحل مما يقع في الطريق أو يذكرون أعينهم بأيديهم وهي ملوثة بالوحل والأرواث، فهل أدرك أن من حق هؤلاء الأطفال والصبيان وحق أهلهم وحق الإنسانية عليه أن ينصح الآباء والأمهات بصياتهم من النكبات التي ترميهم بها هذه الحالة؟ وهل حاول أن يدلم بالأمثلة التي تؤذيها المشاهدة على ما تجره عليهم هذه الحالة من التمس والشقاء؟

ومثل العمدة أعيان القرية ووجهائها، وإنما نريد أولئك الذين آثروا البقاء في بلادهم على الهجرة إلى المدن، فهؤلاء يستطيعون بحسن التوجيه والنصح الخالص والإرشاد الطيب أن يسدوا إلى أهل قراهم من الخير ما يرفع عنهم مسئولية التفريط فيما تتطلبه منهم حقوق الجوار والمواطنة، وما تقتضيه ذمة الإنسان على أخيه الإنسان .

وقد تكون القدوة في القول والعمل أبلغ أثرا وأقرب فائدة، فإن الفلاح مطبوع على الرغبة في تقليد الكبراء من أهل بلده كلما وجد سبيلا إلى هذا التقايد، فهو كما يقلدهم في الاستدانة بالربا والجلوس على القهوةات ومباشرة المفاسد ليأبى بأنه يفعل مثل ما يفعلون كذلك يقلدهم في الاستقامة والجد والعمل الطيب ويصدقهم فيما ينصحونه به من أسباب الخير إذا وجدهم لا يهتمون في أنفسهم هذه الأسباب .

وليست العبرة في ترقية الفلاح وإصلاح شأنه بمجرد التيسير عليه في التغذية والسكن والملابس مع الاحتفاظ له في ذلك بالأصول الصحية، ولكن العبرة قبل هذا أن تتيسر له

أسباب التهذيب وحسن الإدراك ليفهم ما يضره في نفسه وأهله فيتجنبه ، وليقتنع بأن كل ضرر يلحقه في شخصه أو في أبنائه مما تضع به الصحة وتعتل الأبدان والنفس إنما يفسد عليه حياته في يومه وغده ، ويكرر عيش أبنائه في مستقبل أيامهم إذ لا يستطيعون مع اعتلال النفوس والأبدان أن ينهضوا بما تتطلبه دواعي الحياة وأسباب العيش من التكاليف الشاقة .

ومن عادة رجال الإدارة ومأموري المراكز أن يستدعوا الأغنياء والعمد ومشايخ البلاد إلى اجتماعات يودونهم فيها بالسهر على الأمن ، ويلفونهم ما تطلبه الوزارات المختلفة في منشوراتها الدورية من وسائل حفظ الأمن والاجتهاد في تحصيل الضرائب والعناية بالزراعة والعمل لمكافحة الآفات التي تفك بالمزروعات ، ومع أن أكثرهم يرى أن مجرد هذا التبليغ يكفي في صورته الآلية لأداء الواجب فانهم على كل حل يحققون به مخاطبة المسؤولين من أهل البلاد فيما ينفعهم وينفع أهل بلادهم ، أما المسألة التي هي أهم من ذلك كله وهي قيام الرقابة الانسانية على مناهج الحياة وأصاليب العيش في القرى والعزب وحسن توجيه الفلاحين بهذه الرقابة إلى الخير المطلوب قبل كل خير سواه فذلك مسألة يدل عدم وجود أثر لها على أنهم لم يعيروها شيئا من العناية والاهتمام .

ومن النادر جدا أن نسمع أن مديرا من حضرات المديرين دعا مرءوسيه من رجال الإدارة في مراكز إقليمه إلى اجتماع عام يحدثهم فيه بما عنده من الارشادات النافعة ، على أن هذه الاجتماعات النادرة جدا لا تكون في الغالب إلا تنفيذا لما تريده الحكومة في ظروف خاصة ، ولا يتلقى رجال الإدارة فيها أكثر من التعليمات التي تتطلبها المصلحة في مثل هذه الظروف ، ولا نذكر بعد ذلك أننا سمعنا أن أحدا من حضرات المديرين جمع مرءوسيه من رجال الإدارة فأوصاهم أن يتموا لأهل البلاد بواجب التوجيه إلى ما تصاح به شئون حياتهم حسا ومعنى ، وكذلك لم يظهر أن أحدا منهم فكر في اجتماع يدعو إليه عمد البلاد ومشايخها وأعيانها ووجهاؤها ليفهمهم أن عليهم لله وللوطن وللانسانية حقا لا تبرأ الذمة منه ما لم يتعهدوا من حولهم من الفلاحين بالرعاية والنصح وحسن الموعدة ، حتى إذا أدركوا الأشياء على حقيقتها نشأت فيهم عادة الاختيار والتصميم فاجتنبوا قبائح القول والعمل ورغبوا فيما ينفع من كل حسن جميل .

والعجب أن تقارير المديرين ومأموري المراكز لا تزال تشهد أن الوعظ الديني أفاد في بعض مناحيه فائدة مذكورة ، وهم يعلمون أن الوعاظ يذهبون إلى القرى والبلدان بين الحين والحين ، فإذا كان للحديث الطيب مثل هذه الفائدة مع أنه قليل بسبب اتساع المجال على المتحدثين به ، فكيف تكون المفعة كبيرة إذا تكررت الأحاديث الطيبة على ألسنة المسؤولين الآخرين كل يوم وفي كل مناسبة .

والآن نستطيع أن نعرف من هم المسؤولون عن الفلاح على سبيل التعيين وعلى ترتيب الدرجات في هذه المسؤولية، فهم في الدرجة الأولى عمدته وشيخ بلده ومأذون قريته ومواطنوه من الأعيان أو من أصحاب الأرض التي يعمل فيها ، وفي الدرجة الثانية مأمور المركز ورجاله وسعادة المدير في سلطته الشاملة . وليس مما يحتاج الى البيان أنها مسؤولية إنسانية يرجع الحساب عليها الى الضمير الانساني وحده ، وهؤلاء جميعا في استطاعتهم أن يصلحوا من شأنه بعن التوجيه ما لا تصلحه القوانين أو ما يأتي إصلاحه منها بطيئا ، فمن أهون الأسباب عليهم أن ينظموا اجتماعات دورية يحدثون فيها الفلاحين بالنصائح النافعة ويشرحون لهم ومائل الخير وأسباب الشر باللغة التي يفهمونها ، ثم يمنونهم بحسن الجزاء إذا سمعوا وأطاعوا ، ويعملون عليهم من أنفسهم رقبا ، يعثون فيهم المنافسة في العمل بما ينصحوا به .

وليس قليلا ولا هينا عند الفلاحين أن يروا سعادة المدير في قريتهم مهتما بشأنهم ، وأن يحذوه مقبلا عليهم بالحديث إقبال المشفق الرحيم ، وأن يسمعوا من حديثه أن مما يسره ويرضيه أن يفعلوا هذا الشيء من الأشياء لأن فيه ضمان الصحة لهم ولأهلهم أو ضمان اليسر لهم ولأبنائهم ، وأن مما يحزنه ولا يقبله أن يتأدوا في هذا الأمر من الأمور لأن التأدي فيه يثقل الصحة أو يستد أبواب الرزق .

وهذه الكرامة التي يحسها الفلاحون في أنفسهم كلما فهموا من إقبال المدير عليهم أن لهم عنده قيمة مرعية هي التي يحسونها في أنفسهم كلما رأوا العين الكبير والوجه المحترم والعمدة المطاع مقبلين عليهم مثل هذا الإقبال ، ولا ريب أن شعور الصغير بأن له عند الكبير هذه القيمة المرعية يتدف في قلبه الثقة بهذا الكبير والاطمئنان له ، ويعمله أقرب الى طاعته والعمل بنصحه .

إن رحاب القرى لا تضيق بهذه النصائح يسمعها الفلاحون كل يوم من العمدة أو نائبه . وكل أسبوع من المأمور أو من ينييه عنه ، وكل شهر من المدير أو وكيل المديرية .

وإننا لنعلم أن في هؤلاء جميعا استعدادا للخير ينبعثون به من أنفسهم ، فنحن إننا نذكرهم بما نعتقد أنه في حسابهم من قبل .

قهورات العمال

وكيف يقضى العمال أوقات فراغهم

لا تشغل مسائل العمال في مصر مكانا عظيما من اهتمام الرأي العام ، لأن الواقع أن هذه المسائل إنما تفشو في الأوساط الصناعية حيث يتكأ كأ العمال حول المصانع وحيث يتناوبهم العمل والتعطيل بلا نظام كما هو الشأن في المصانع الآلية الكبرى . أما في مصر فإن الوسط لا يزال في الأكثر زراعيا وهو متظم العمل على طول العام . وإذا كانت مكاسبه دون المكاسب في الوسط الصناعي فإنها تمتاز عليها بما فيها من انتظام و بعدد عن مفاجآت البطالة .

ولكن في القاهرة والاسكندرية كما في المحلة الكبرى وبعض المدن الأخرى قد ظهرت صناعات جديدة بين صغيرة وكبيرة . وقد كثر العمال حولها . وصاروا يعمرن أحياء معينة تمتاز بانخفاض الأجور في السكنى كما تنسم بالازدحام وقدم المساكن .

وعملنا يعملون في الغالب بين ثمانى وعشر ساعات في اليوم . وهم يتمتعون بفراغ قد يبلغ ست أو سبع ساعات كل يوم . وبعض هذا الفراغ بالطبع يقضيه العامل بين أهله وأولاده ولكن كثيرا منه بل أكثر منه يقضى في المقهى للسامرة واحتساء الشاي . ونقول " أكثر منه " لأن العامل يعتاد المهر في هذه القهوات إلى ما بعد مواعيد نومه . وهو يأخذ بذلك من راحته لسهره وربما تسوء صحته لهذا السبب أى لقلة الوقت الذى يقضيه في النوم لأنه يقضيه في القهوة . وكلنا يفترق ذلك العامل الذى يغفو وقت عمله وتمتد إغفائه الى نوم عميق لأنه لم يشبع من النوم في ليلته السابقة .

والقهوة تعد متدى العمال . فيها يتسامرون ويباهون . وقد يكون بينهم من يقرأ الجريدة أو المجلة فيثير فجمن حوله عواطف ذهنية مفيدة ومنيرة . ثم قل أن تخلو قهوة من الرديوفون الذى يبهج أحيانا بالأغاني والألحان ويشقف بالأحاديث والأخبار . وإلى هنا تعد القهوة في المدن الكبرى مفيدة إذ هي ساوة لا بأس بها تجمع بين زملاء الحرفة أو قرناء الدين . ولكن

قهوات المدن الرخيصة التي يغشاها العمال لا تقدم من المنبهات غير أصناف محدودة يتغلب عليها الشاي الأسود الذي تكرر اغلاؤه حتى غليت عليه الماراة . وهذه الماراة تحمل شاربها على أن يكثر من السكر . وهذا السكر يعد بالنسبة الى الخبز طعاما ناقصا .

ونظن أنه يمكن لقهواتنا التي تختص بالعمال أن تعتمد إلى التوسع والزيادة في الأصناف التي تقدم لزبائننا ، بل هي تستطيع أن تقدم الشاي مثلا مع كسرة من الخبز والزبدة أو الخبز والجن ، وقد وجدت الحكومة الانجليزية أنها عندما أجبرت الحانات على تقديم الغذاء مع الشراب في أوقات معينة قل استهلاك الخمر وتحسنت الصحة العامة بين العمال . ولنا نعرف اذا كان الاجبار القانوني هنا يفيد أو لا يفيد . ولكننا نظن أنه يمكن لبعض أصحاب هذه القهوات أن يتطوعوا بهذه التجربة . فإن الأغلب ان استهلاك الشاي والقهوة يقل سببها وتحسن صحة عمالنا .

وقد أثبتت تجارب السنين الماضية أن عمالنا لا يخشى عليهم من الخمر . وقد يبدو لأول وهلة أن السبب في ذلك يرجع الى غلاؤها . ولكن الحقيقة أن في القاهرة أنواعا من الخمر هي بالطبع غاية في السوء ولكنها رخيصة . كما أن "البوظة" من المشروبات المألوفة عند أفراد قائل . ولكن هذا الانخفاض في الثمن لم يفش تماطيا بين العمال الذين يكرهونها بمزاجهم كما أن الوازع الديني من القوة بحيث يكفهم عنها في الأغلب . على أن كراهة عمالنا للخمر لم تجد لها ما يضارعها من الكراهة للمخدرات المضرة التي يتجاوز ضررها جميع الخمر كما انتفح ذلك عقب الحرب الكبرى حين تنشى الكوكيين ثم أعقبه الهروئين . وقد تكلفت الحكومة مبالغ طائلة وجهودا عظيمة حتى قضت على أكثرها .

ويبدو لنا أن هناك علاقة بين الغذاء السيء والرغبة في المخدرات . وتنشى الأفيون في كل من الهند والصين حيث تشدد الفاقة يؤيد هذا الظن . فإن الجوع يحدث همودا في الجسم يحمل صاحبه إلى الترفيه عليها بالمخدرات . كما لا ننسى أن المخدرات إنما كان أعظم نفسيا عقب الحرب الكبرى بين الطبقات الفقيرة . ولذلك يجب أن نعمل في العلاج إلى توفير الغذاء الحسن وأن نجعله الضمان الأول من السقوط في هذه الهاوية . وهذا يحملنا على أن ندعو إلى أن تكون القهوة التي يغشاها العمال خاصة والفقراء عامة مطعما كما هي مشرب يقدم فيه القليل من الأطعمة الجافة التي تكسر حدة الجوع وتضعف الرغبة في المنبهات والمخدرات من الشاي إلى الخمر ومن الدخان إلى المخدرات أو تريلها .

إن هناك من يقول بإلغاء القهوة اعتقادا بأنها تعود العمال عادات سيئة . ولكن اختبارات الأمم الأخرى قد دلت على أن معالجة الأخلاق باللهو البريء خير من معالجتها بالقمع التام . وإذا كانت قهواتنا ليست الأمكنة المشلى لكى يقضى فيها العامل فراغه فإن في مقدورنا أن نصلحها .

ولكن القهوة يجب ألا تكون كل شيء في فراغ العامل . فإن النادى يستطيع أن يقوم بخدمة القهوة ولكن على مستوى أعلى . ثم يمكن للنادى الذى يؤلفه العمال فيما بينهم أن ينال عطف الأغنياء والقادرين بالتبرع المالى الذى يستخدم للتحسين والترقية . وفى استطاع النادى أن يفعل ما لا تستطيع القهوة أن تفعله أى فى استطاعه أن يقتنى الكتب ويؤسس غرفة للطالعة . كما أنه يمكنه أن يستخدم المحاضرين . بل أن بعض الأندية يستطيع أن ينظم الدروس التى ترقى العمال وترفعهم وتشفل وقتهم بالمفيد من الثقافة الابتدائية .

وحكومتنا فى الوقت الحاضر معنية بإيجاد المتزهات فى الأحياء الوطنية الفقيرة . وحده المتزهات إذا كثرت كانت من أفضل الوسائل لصرف أوقات الفراغ .

-
- كبر الصغير قبح كنواضعه ، كلاهما فى غير موضعه .
 - من وضع نفسه قصر عن فضيلة التواضع .
 - من عرف نفسه بعد جهل وجدها ، ومن جهل نفسه بعد معرفة فقدها .
 - بُغِضَ الكبر الى النفس الكبيرة ، وحببت الصغائر الى النفس الصغيرة .
 - لا يكن تلتفك مذالا ، ولا تحببك ابتذالا ، فان الطفيليين أعذب الناس كلاما ، وأكثرهم ابتساما .
 - شيخ الفقر غادر رآح على اثنين : زوج المضيفة ، وامرأة المقامر .
 - المغرور من يظن الناس لا يستغنون عنه ، والمخدوع من يظن أحدا من الناس لا يستغنى الناس عنه .
 - خذ من مال الناس ما شئت فإن وارثك راده اليهم .

شوقى

هجرة الأعيان

من الريف إلى المدن

لم يعد للأسر المصرية أن تفخر بعزتها في الريف ، فقد كانت لها العزة أيام كانت عصيات تؤلفها القرايات والأنساب ، وتعلّى كلمتها مهابة الإقامة والحوار ، ويضمن احترامها علم الجميع أنها موجودة على مقربة منهم ، ويصنون منازلها شعور الاتباع بأن رجالها حاضرون لا غائبون .

على أن هذه العزة المفقودة هي الجانب الخاص من جوانب الخسران الذي أصابت به بلاد الريف المصري هجرة الأعيان وعميدى الأسر الكبيرة إلى المدن فمُنذ اتخذوا المدن دور إقامة واستقرار ، ومنذ جعلوا مواطنهم الأصلية مزارات يذهبون إليها ذهاب الغرباء من ذوى الحاجات ، منذ أصبحت علاقتهم بالريف هذه العلاقة المقطوعة أصابهم ما أصابه من تلف ووار ، وهددهم ما هددته من خراب وإفلاس .

وانك إذا تجرّبت الحقيقة فيما تدل عليه مشاهد الحالة في الريف لتعلم أن أول خسارة أصابته هي ضياع الرعاية الأهلية وفقد المثال المحتذى وانقطاع الصلة الروحية بين جمهور العامة من أهله وأولئك الذين كانت الوجاهة الذاتية تزلم في القرى والبلدان منازل الرؤساء المهيبيين ، وقد نشأ عن ذلك أن بفعت القرية في وحدتها الاجتماعية فأصبحت لا تستطيع أن تدفع عن نفسها عوادي الزمن لأن مركز الدائرة من هذه الوحدة — وهم الأعيان والسادة — أصبح منذ تحول عن مكانه غير موجود ، ثم لأن ذوى القرى من عامة أهل الريف وسواهم من اتباع العزة على اختلاف مراتبهم وأشياع الولاء والمحبة على تفاوت درجاتهم لم يعودوا يحدون في نفوسهم — وأولياؤهم هؤلاء بعيدون عنهم — ذلك الاعتزاز الذي كانوا يجدونه وهم حاضرون بينهم .

لم يعرف أهل الريف الكسل والخمول قبل أن يعرفوهما الآن ، ولم يكن فساد السلوك واختلاله شائعا فيهم بقدر شيوعه اليوم ، ولم يكونوا من قبل يعرفون هذه الجرأة الظاهرة على كرامة الأسر العريقة وأقدار الرجال المحترمين كما عرفوها الآن وكما صارت عادة لا يتحززون منها بأى اعتبار من الاعتبار المروية ، واليوم أصبحت هذه الأمراض الاجتماعية فاشية في الريف كله ، فالحقول مهملة حتى يشبع أصحابها أو الغاملون فيها من قتل الوقت في مجالس التبطل والفراغ على أبواب الدكاكين أو في التسلل مع الرفاق بين أرجاء القرية من هنا إلى هناك ، ومتفادات الصحة والرزق مما يشرب أو يلع أو يدخن أو يشم شائعة بينهم شيوع العادة السهلة فلا ينصرفون عنها إلا ليبحثوا عما يحصلون به عايبا حلالا كان أو حراما ، وكل رجل تحفظ له عرافة الأهل أو كرامة العلم أو شرف الاجتهاد في العمل التافع حق الاحترام ومعرفة المكانة لا يأمن عاديته على هذا الحق بالأمانة المبسوطة أو الأيدي الممدودة أو النفوس الجائعة ، وليس لذلك من سبب إلا أن البلاد خلت من كبارها فنابت أشخاصهم من الألبصار وأمتعت أخبارهم عن الآذان وانقطعت من بينهم تلك المهابة التي كان ينشرها في كل مكان شعور الجميع أنهم موجودون لا غائبون .

وقد صارت المفسدة بذلك عامة فلا يختص بها الفلاح الصغير الذي أقعدته رقة حاله عن مفارقة قريته دون المالك الكبير الذي أغرته ظواهر القدرة بالخروج إلى المدينة وترك القرية التي هي تبع حياته تنعاه وتنعى مصاحبه الضائقة بين أرجائها . ولستأ نبلغ الغاية إذا أردنا أن نحصى آثار هذه المفسدة أو نستقصى وجوه الضرر الذي أدت إليه ولكنا على كل حال نستشهد لتوضيح المسألة بما يأتي :

١ — أصبح الفلاح الصغير لا يخشى اللوم ولا يهاب المسؤولية لأن المالك الذي كان يخشى لومه والوجيه الذي كان يتقى المسؤولية أمامه وعميد الأسرة الذي كان ينجله أن يعرف أنه سيئ السمعة رديء العمل ، هؤلاء لم يعد يحسب لهم حسابا بعد أن رحلوا عنه وعن قريته فاستوطنوا المدينة .

٢ — ضعفت همته في طلب العيش وفقرت عنايته باستنبات الأرض ، وقل نشاطه في خدمة الزرع ، وذهب حرصه على وفرة المحصول وجودته لأنه حرم من القدرة العملية التي تثيره هذه للمعانى الواجبة منذ أصبح لا يرى أحدا من الأعيان أصحاب الأرض والزرع يخرج في بكور النهار ليتعهد منزعته الواسعة بالرعاية والاهتمام وليباشر بنفسه ما يجري فيها من ضروب العمل وطرقه وأساليبه فلم يعد هذا الفلاح الصغير ينهض مبكرا ويقبل على شأنه جادا نشيطا خشية أن يعاب بالخمول والإهمال وقلة المعرفة إذا جاء محصوله المتواضع أقل جودة من المحصول الوفير في هذه المزرعة الواسعة .

٣ - زالت من الريف مهابة كبرائه لأنهم بعيدون عنه فزالت معها خشية الإقدام على الشر لأن أولئك المفاسرين من فتيانه أمتوا بارتحال الكبراء عن بلادهم حين الرقيب وموالة المؤدب .

٤ - امتدت يد العيث الى مصالح الأعيان الفاشين فأصبحت عرضة للتبدد والضيايع وصارت ضحية الإهمال والتفريط ، وفي هذا خسارة لا يعرفها أحد أكثر مما يعرفها أصحاب هذه المصالح .

٥ - حينما كان الأعيان مقيمين في بلادهم كانوا يملكون ضمان السلامة من علل المدنية العصرية وأوائها فلم يكونوا على مقربة من تيارها الجارف ، ولكنهم منذ تحولت إقامتهم الى المدن جعلوا أنفسهم وأهلهم عرضة لهذا التيار ، فأصبحوا هم وأهلهم لا يستطيعون النجاة من هذا التيار كما لا يستطيعون عدم الوقوف في طريقه ، وبذلك انتقلت اليهم العدوى في الأخلاق والعادات ، وحرروا ووفرة الرزق من الحلال الطيب ، ولزمهم من تكاليف المدنية العصرية ومطالبها ما لا سبيل الى الخلاص منه ، فهم يتكفون الكثير من أجور المساكن النخمة وأثمانها وما تحتاج اليه من أثاث يليق بالمسموع من وجاهتهم والمذكور من غناهم ، وقد كانوا في بلادهم لا يتكفون من ذلك شيئا ، وهم لا ينقلون ولا ينتقل أبناءهم ونسأؤهم من مكان الى آخر إلا في سيارة نفخة مملوكة أو مستأجرة ، وهم لا يجدون أسباب القدرة على مدافعة العادات العصرية الشائنة كسهر الأندية والملاهي وما يستتبعه من شر لا خير معه ، فقد اعتادوه واعتاده أبناءهم وأهلهم ، وكرهوا أن يظهروا مقصرين في ميدانه تغفلوا أنفسهم وأبناءهم وأهلهم بأصدقاء المرح واليالي الساهرة ، وكل هذه الأساليب من مظاهر الحياة الصاخبة في المدينة بلاليع تنفي فيها البحار ، فلو أن ثروة أحدهم كانت بحرا لما بقيت منها قطرة وهي تنحدر الى هذه البلاليع .

على أن هناك سرا أعظم من هذا السر لا ينكرون أن أقامتهم في المدينة هي التي أصابهم به ونرى من اخلاص النصيحة أن نشير اليه بما يكفي لفهمه ، ومنفرض في هذه الإشارة أن لفلان من كبار الأعيان وأهل النسب الشريف والأصل العريق بضع فتيات أنشأت قصور القاهرة البديعة في أرقى مرتع من مراتع التمدن العصرية ، فهل يعلم فلان هذا أن أحدا من نظرائه في الريف خطب إحداهن لنفسه أو لابنه ؟ كلا ، فإن حدث شيء من ذلك فهو التزر الذي لا يناس عليه ، ثم هل يعلم أن أحدا من شبان البيوت الكريمة الأصل في القاهرة فعل ذلك ؟ كلا ، فإن حدث مرة واحدة فهو الشذوذ الذي لا يطرد معه الحكم .

ولكن فلان هذا ، هل يعلم سبب التنس الذي أصاب فتياته أو لا يعلمه ؟ مهما يكن فالسبب واضح ، فأهله لا يخطبون للزواج من تتبرج وهى فتاة ، ومن تسهر الليل وحدها أو مع الرفيقات المائلات أو مع الخادم الكبير أو مع سائق السيارة أو مع الأئخ الصغير فى الأندية والمسارح ودور اللهو المباح وغير المباح ، أما شبان المدن فيقولون : ما حاجتنا بالناكهة وهى على أطراف الشجر وبين خزات الشوك ووراء أسوار الحديقة ما دامت متوفرة فى سوق الخضـر .

وانا نرجو أن تتيقظ ضمائر الأعيان بهذه الإشارة اليسيرة ، كما نرجو أن يضعوا كل شأنهم فى الميزان ، فهناك الحقيقة التى لا تغيب عنهم ، وهى أنهم يميلون بالإقامة فى المدن مصالحهم فى الريف فتضيع ، وتكلفهم حياة المدن أضعاف ما تكلفهم حياة الريف حين لا يسعفهم نضوب مواردهم بما تتطلبه هذه الحياة فيمدون أيديهم إلى الدين ، ويهجزهم نضوب الموارد مع التفقات المضاعفة عن الوفاء بأقساط الدين فتصبح أملاكهم عرضة للضياع ، وتصبح الدولة حائرة بهم كلما تعلقوا من التسوية العقارية بما يتعلق به الفريق .

ان جلالة الملك المعظم لا يزال يشرف الأعيان فى المناسبات الطيبة بإنعام الرتب والنياشين ، وهو انعام لم يؤهلهم له الا وصف واحد معين هو وصف أنهم أعيان البلاد ، وهذا الإنعام الكريم يحمل فى طيه دليل الرضا والتقدير ، ولكن هل يفهم هؤلاء الأعيان أنهم يحققون فى أنفسهم هذه الصفة التى لم يزل مديرو الأقاليم يعملونها مسوغا لتشريفهم بالرتب والنياشين التى يلمسون الإنعام بها عليهم وكيف لمن تصرفه الإقامة الدائمة فى المدن عن مصالحه فى الريف ومصالح بلده ومواطنيه أن يعد من الأعيان فى بلده الأصلى أو فى إقليـمه ؟

فمن حسن التأدب فى شكر النعمة أن يعودوا إلى بلادهم ليحققوا فى أنفسهم وصف أنهم أعيانها وليتعهدوها من وسائل الإصلاح والخير بما يتبعون به جديرين بما نالوا وبما يطمعون أن ينالوه .

هما يرى ويسمع في الطريق

في مطايا المواصلات العامة مضايقات لولا جميل الصبر لا خنتق بها أحرار النفوس .
وفي طليعة المضايقات ، ما هو فضلة الكرم والجود مما لا يزال أولياء الأمر في هذه المطايا
يتعهدون به جمهورا أظهر صفاته أنه مساح كريم ، وفي المنزلة الثانية بعد الطليعة ما هو
فضلة الذوق المفقود ، مما لا تزال أشباح في صور بنى آدم تتعهد به هذا الجمهور نفسه .

أصابتي الإنفلونزا مرتين في شهر نوفمبر ، ولابد أن تكون قد أصابت عديدا سوى من
أولئك الرفاق الذين يتجاوون على ظهور المطايا العامة في الصباح وفي المساء كما يتجاور سردين
العلب ، ولا أعرف ان هذه الإنفلونزا استطاعت أن تنفذ الى رأسي وأنتى وصدرى وجملة
مفاصلى إلا من طريق واحدة لا طريق غيرها ، هي هذا التيار من الهواء يدفعه الى الأبدان
فراغ الزجاج في هذه المطايا من السيارات وهذه الركائب من الترام كأنه الرصاص منطلقا
من البندقيات .

فهل يرضيك يأهل المروءة وجمع الفلوس أن تحملنا مطاياكم سالمين غانمين ثم لا تحطنا
عن ظهورها قبل أن ترشح الأنوف وتسيل الدموع وتدب الوعكة في الأجسام ويمشى الداء
في العظام وينشط السعال وتسوء الحال ؟

وأقول إننى لم أخف على نفسى كربا من هذه الكروب كما خفته على طفل كانت أمه
تنتظر به إقبال السيارة في إحدى محطاتها .

كان ذلك في شهر يولييه حين وقدة الحر وشدة وهجه وتأهبه ، والشمس ترسل السنة من
النار يتفلق بها الصخر ويذوب تحتها الحديد ، وكانت أم الطفل به حيرى وعليه ولهانة ، وكان
الطفل كأنه العصفور في قفص من الحجر ، وكان المكان مكشوبا وظل كل شئ تحت قدميه .

ولم تشأ المطية المباركة أن تظهر على مد البصر الا بعد أن مضى للطفل وأمه ولغيرهما
من المنتظرين نصف ساعة ، كانوا فيها كأهل القيامة في وقت الحساب يتمنون الانصراف
من هذه النار ولو إلى نار أخرى ! . .

ولم أعلم أى شر أصاب هذا الطفل بعد أن رأيته وهو يذوى فى حر الشمس كما تذوى الورقة الخضراء فى النار المشتعلة ، ولكنى أعلم أن أقل مما عاناه يصيب مثله بشر عظيم ، إلا أن يتداوكه الله بطفه .

وفى الليلة الظلماء ، فى المكان العريان ، فى الشتاء الذى يقطعك برده بأطراف المسامير وأذنان العقارب بعد نصف الليل مثلا ، والبحر كأنه بحر أصله فى السماء ومصبه فى الأرض ، فى هذه الليلة وفى هذا المكان وتحت هذا الجو يقف جماعة من الناس فى انتظار السيد السند الذى اسمه الترام أو السيدة الوقورة التى اسمها سيارة كذا أو سيارة كذا ، أنظفهم مدبلجين ينتظرون البدر ، أفتحسبهم مجدين يرتقبون الغيث ، أم هل تعلم أنهم فى موقفهم تتوزع نفوسهم بين الخوف والرجاء حتى يأتهم الفرج فيفك أسارهم ؟ كلا : فؤؤلاء جميعا أسعد منهم حالا ! لأنهم ينتظرون شيئا أروى من الماء ، وأهدى من بدر السماء ، وأحب من حرية الطلقاء ، ذلك مع الاحترام وحفظ الألقاب ، هو السيد الترام أو السيدة السيارة ! ثم حسبتهم أن يتفضل بالحضور هذا السيد أو هذه السيدة ، ولا بأس بعد ذلك أن تتخذ التزلة الشعبية مقرها فى الصدور وأن يغتار الاتهاب مسكنه فى الرئات أو الكلى أو الأكباد أو المعدات والمصارين أو أية ناحية أخرى من هذه الأجسام المباحة .

فهل يعجبكم يا أصحاب الأرباب ، ويا أهل السباح ، أن تزكونا فيها لهذا الدلال ؟

هذه سيدة يشهد احتشامها وانسدال ملابسها عليها ، أنها من بيت كريم ، تأخذ بيدها طفلا فى نحو السادسة من عمره ، وتقيمها خادما تحمل طفلا آخر رضيعا ، وهى كغيرها من الناس تنتظر الترام ؟

وهذا شاب لو قست الأرض بطوله لأعطاك منها قصبه زراعية ، ولو قدرت الحائط بعرضه لوفاك منه متر مكعب ، جيد الثياب ، نظيف الظاهر ، متعم بالذهب وكريم الجواهر ، سمهورى خطار كأنه أطول الرماح ، مشرق نوار كأنه قطعة من فلق الصباح .

بربك لو أنك رأيته هكذا أكتت تصدق أنه جدار من تبن وطين ، أو عمود من رخام وحديد ، أو أن ضميره ميت وهو تابوته ، أو أن قلبه شقي وهو نبوته !

لكن الترام أقبل فلم تكد السيدة تخطو لتركبه ومعها طفلان وخادمتها حتى دفعها بذراعيه ، ثم مرق من بين الواقفين كأنه فرع حميزة امتلخته ريح هاتية ، فارتدى لا يحس أى مصاب من الهلاك يسقط به فوق من يسقط عليه .

ولم تطل بالناظرين دهشة ما رأوا ، فقد كشف عنه لسانه ، فلمحوا أنه نخلة ليس فيها
غير القحوف والأفلاق ، أو أنه هو الانسان الميكانيكى لا يغنيه جمود الصورة عن أدب
النفوس وشرف الأخلاق .

غير أن الخلق المصرى الكريم ضمن ألا يزيد عدد أمثاله فى مصر على عدد أفراس البحر
فى حديقة الحيوانات .

مررت بى وأنا سائر فى الطريق شاب متمشخ ، يلبس قفطانا من الحرير المفهاف شديد
البياض ، ويشد على وسطه حزاما من الحرير المصقول فاقع الصفار ، ويرنى فوقه دجاجة
من نسج القفطان ولونه ، ويطبق على رأسه عمة لا تعرف نسبها إذا سألتها أن تنسب إلى
قطر من الأقطار أو جنس من الناس ، وإن كان أصدق ما يقال فيها وفى صاحبها أنها جرة
مقلوبة تحتها راية منصوبة ، أو أنه هو أبو قردان يحمل فى الطريق طشتا تحته إبريق ! ...

وهب أنك أنت الذى مر بك هذا الشاب فى هذه الصورة ، فهل كنت تستطيع أن
تسكت ؟ إننى أنا كذلك وجدت السكوت فى هذا المقام من تراب لا من ذهب ، فلم أبطن
أن ناديت : يا شيخ حموده ، ولم يكذبى الغيب فاذا هو الشيخ حموده كما ناديت ، ثم لم يلبث
إلا أن التفت ليرى من يناديه ، وأقبل يصافحنى وليس به شئ من التحرز الذى يكون بين
غير المتعارفين ! ... قلت : كيف الحال يا شيخ حموده ؟

قال : الدنيا حرب ، روسيا ضربت لفلندا ، والرئيس زورفلت طلب من مصر قاشا
لقلوع المراكب ! ... صدقتنى يا بريك أنا رأيت الخيمية بعينى نازلين شغل فى القماش المطلوب ! ...
وحكومتنا أصرت بجمع المغازل من أيدي الفلاحين لأن إنجلترا اشترطت ألا تشتري القطن
من غير مغازله ! ...

قلت : أنت سياسى كبير يا شيخ حموده !

قال : سياسى وأهل علم ومغنى وأعمل شعر على قد الحال ، وكل ده ربانى من غير
مدرسة ولا أزهر حتى ولا أليف بيه ! ...

قلت : وما هى الصنعة الشريفة الدائمة ؟

قال : يعنى صنعة أكل العيش ؟ حانوتى يا بريك .

وكانت السماء غائمة ، والمطر مستهلا ، والبرد مقبلا ، فلم أشأ أن يدركنى فزع النشأوم
بجوابه قبل أن أسأله : متى يكون الشتاء . أما هو فافتحم الأفق بعينه ثم قال : نعمل إليه ؟
أهو الذى يقسمه ربنا بنبسه فى وقته ، ده كله فضله خير أسيادنا اللى زى ساداتك .

وبعد ذلك مضى يشق الهواء بذراعيه ، فقلت لنفسى : إن الآجال بيد الله .

وبعد : فن البائز ما دام الأحياء يموتون أن تكون الحانوتية حرفة مألوفة ، ولكن
أىكون من البائز لهذا وأمثاله أن يقيموا الدليل من أنفسهم على الإسراف فى فساد الذوق
العالم ؟

باقى من الحكم

— رب قارض للأعراض ، وعرضه بين شق المقراض

— فى القمر تستوى الأعماق .

— صبر الحازم تجلد ، وصبر العاجز تبلد .

— الثقيل جبل ، إذا تلطف سقط .

— المتحيز لا يميز .

— اثنان فى النار دنيا وأخرى : الحاقد والحاسد .

— التاجر فى حانوته بين يدي الرازق ، فلا يناع ولا يناعزق .

شوقى

النشاط الاجتماعي للطالب المصري

وكيف يذبغى أن يكون

تجبه التربية الحديثة إلى أن تجعل الطفل ثم العشي ثم الشاب " يعيش " لكي يتعلم .
لا أن " يتعلم " كي يعيش . وبكلمة أخرى يجب أن يتجه نشاط المدرسة إلى زيادة الاتصال
بين الهيئة الاجتماعية وبين التلميذ أو الطالب . وذلك بأن يشترك في مسائلها ويدرسها ويتفهم
صعوباتها ويدرك أغراضها إلى حد ما بالقدر الذي يتفق مع حالته العقلية حتى إذا تخرج
كان عضوا عاملا مريدا للخير والرفق فيها .

والهيئة الاجتماعية محتاجة على الدوام إلى الخدمة التي يقوم بها الفرد متطوعا بجهده متبرعا
بماله . ولا يمكن أن نعتمد هذا الفرد على هذه الأخلاق ما لم نغرسها فيه منذ طفولته حتى تنمو
فيه نزعة والتجها . ولا نستطيع أن نغرسها بالإرشاد والنصيحة أى بالتعليم لأن الأخلاق عادات
والعادات تحتاج إلى الممارسة والتمرن . ولذلك يجب إذا أردنا أن ينشأ أبناؤنا برة بأوطانهم
ينبعثون بروح اجتماعي يسمو إلى الخير ، أن نغرس فيهم عادات الخير والبر بأن نبعث
فيهم ألوانا من النشاط الاجتماعي الذي يتفق وأعمارهم . وأن نجعل هذا النشاط عادة فيهم
تشفل فراغهم أو بعضه .

وقد انبعث طلبتنا بالفعل في السنين القريبة الماضية إلى ألوان من النشاط الاجتماعي
كان لها أثرها المحسوس في إيجاد بعض المنشآت . وقد يكون هذا الأثر المحسوس محدودا
صغيرا . ولكن هناك أثرا آخر معنويا أكبر وأعم هو هذا التوجيه الاجتماعي الذي يتجه نحوه
الطالب كما يتجه نحوه الجمهور . ذلك أن لكل مشروع دعايته . ولهذا الدعاية قيمة
سيكلولوجية في نفس الداعي — والداعي هنا هو الطالب — وفي نفس الجمهور . وكثيرا
ما تكون قيمة هذه الدعاية لأحد المشروعات الخيرية أكبر من قيمة المشروع نفسه . وهي
على الدوام دعاية بروخير وتعاون ونور وإصلاح .

فقبل سنوات ظهر مشروع القرش ينظمه كبار الطلبة كل عام ويجمع صغارهم القروش من أفراد الجمهور على قوارع الطرق وفي الترام والقطار وفي كل مكان آخر يجتمع فيه الجمهور . وقد أنشئت مؤسسة صناعية من المال المجموع من هذه القروش تنجج الطرابيش ويعمل فيها عدد كبير من العمال . وفي كل عام يتجدد المجهود لجمع الذبوعات فتثار في النفوس موعظة وطنية وعبرة اقتصادية هي درس عملي للطالب يتقن فيه على الخدمة الاجتماعية وهي تنبيه للجمهور على اليقظة الاقتصادية .

وقبل سنوات أيضا ظهرت حركة أخرى بين الطلبة هي تعليم الريفيين مدة العطلة الصيفية فإن هذه العطلة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر . وكثير من الطلبة يعيشون في الريف . ويمكن الطالب بمفرده أو مع آخرين من زملائه أن ينشئوا فصلا أو فصولا لتعليم الريفيين الكبار والصغار معا . وقد سبقنا المنود إلى هذا التعليم . وسواء أكانا قد أخذناه عنهم أم ابتكرناه فإن مما لا شك فيه أن الفائدة التي تعود على البلاد من هذه الفصول الصيفية كبيرة . وقد تمكن كثير من الطلبة من تعليم الريفيين القراءة والكتابة في وقت قصير . وشعر المتعلمون بروح البر التي ينبعث بها الطالب المعلم فكان لهذا الشعور أثره الطيب بين فقراء الريف وبين المتيسرين منهم . وحيدا هذه الفصول تنتشر وتنظم وتؤلف لها المؤلفات الابتدائية حتى تزكو الفكرة ويأخذ تعليم الكبار نصيبه على أيدي الطلبة مدة العطلة الصيفية إلى جنب تعليم الصغار في المدارس الإلزامية .

ومما يتصل بهذا المجهود ما تقوم به جمعية نهضة القرى التي يتألف أعضاؤها من الطلبة فإنها أيضا تقوم بالتعليم على هذا النحو وتبث في الطلبة غير قومية تدفعهم إلى بذل المال والجهد في نشر التعليم .

ومجهود آخر في الخدمة الاجتماعية يجب أن نلفت إليه الأنظار: هو ما قامت به فرقة الرواد من إيجاد "محلة" صحية اجتماعية في قسم السيدة زينب بالقاهرة . فان الطلبة قد استأجروا هناك بناء يعالجون فيه أمراض الأطفال ويعلمونهم ويقدمون لهم بعض المتع الرياضية .

هذا هو بعض النشاط الذي يقوم به طلبتنا في الوقت الحاضر وهو من حيث النوع يعد حسنا يستحق كل اطراء، ولكنه من حيث الكم لا يعد عتليا لأنه محدود . فان "محلة الرواد" في السيدة زينب كان يجب أن يكون لها ما يضارعها في جميع أحياء المدن الكبيرة . كما أن حركة التعليم الريفي على أيدي الطلبة ليست منتظمة أو متعددة في جميع القرى أو معظمها . ولكن يجب ألا ننسى أننا مبتدئون في هذه الحركات واننا نذفع بالدروس الحاضرة للعمل المتشعر في المستقبل .

ولذلك يجب أن نشجع الطلبة على الاندماج في هذه الجمعيات والدعوة لهذه الحركات .
فإننا لا نستطيع أن نكل إلى الحكومة كل إصلاح . إذ يجب على الفرد أن يقوم بقسطه
متطوعا في الإصلاح وأن يمهّد العقبات الأولى ثم تتقدم الحكومة للمعاونة والمساهمة . وليس
في أوروبا إصلاح إلا وكان للفرد الأسبقية على الحكومة في بذل المجهود فيه .

وعندنا من طلبة الطب والعلوم من في وسعهم أن يؤسّسوا مستوصفات صغيرة لمعالجة
الأمراض المحلية . كما أن منهم من يستطيع إيجاد المبرات المختلفة لتعليم الفقراء أو الترفيه على
المحرومين . فإن كل هذه الأعمال تحتاج إلى المجهود الفردي الذي يستطيعه الطالب قبل أن
تحتاج إلى المال . ثم يجب ألا ننسى أن الطالب الذي يعمل للبر ويؤدي خدمة اجتماعية
ما ينتفع بنشاطه بمثل ما ينتفع به الفقير أو المحروم الذي توجه إليه رحمة هذا البر . لأن الطالب
وهو يمارس عملا خيرا تنبعث في نفسه أشرف الاحساسات وأرق العواطف وهو جدير بأن
يراقب نفسه فيصدها عن المفساد طالما كان يمارس هذا البر . إذ لا يقل أنه يدعو إلى
الخير والشرف والرقى وأن يمارس من الأعمال ما يطالبه بالنضحية ثم في الوقت نفسه يقع هو في
الردائل التي تنشأ من الأنانية . لأن الأغلب بل المؤكد أنه يعود فاضلا يلتزم الشرف والاستقامة
حين يخدم غيره من أبناء وطنه لأن الاحسان يخدم المحسن والمحسن إليه في وقت واحد .

— لو طلب إلى الناس أن يحذفوا الآف وفضول القول من كلامهم لكاد السكوت في مجلسهم
يحل محل الكلام ، ولو طلب إليهم أن ينقوا مكاتبتهم من تافه الكتب وعقيمها ، ولا يدنحروا
فيها إلا القيم العبقري من الأمثال ، لما بقى لهم من كل ألف رف إلا رف .
شوقي

— قدر الرجل على قدر همته ، وصادقه على قدر مروءته ، وشباعته على قدر أنفثته ،
وعفنه على قدر غيرته .

على بن أبي طالب

الموظف والجمهور

الموظف هو خادم الجمهور . وليس العكس هو الصحيح . وهذه النظرية تسلم بها جميعا ولكنا لا نعمل بها . فان الذى يرى أفراد الجمهور حول أحد الموظفين أو وقفا أمامه وهو ساكن هانى شرب قهوته أو يحدث أحد زائريه لا يسمعه إلا أن يصرح بأن الجمهور هو الذى يخدم الموظف .

وليس شك أن طبقة الموظفين تبرز في الهيئة الاجتماعية في مصر أكثر مما تبرز في أية أمة أخرى . وذلك لأسباب كثيرة منها أن هذه الطبقة كانت منذ بضع مئات من السنين تتألف من الأجانب الذين يسودون البلاد . أو كان معظم الموظفين منها . فكان الاحترام للأجنبي السائد ينتقل إلى الموظف . ومنها أن ميدان الأعمال الحرة ضاق — لأسباب مختلفة — فاتجه مجهود الشباب إلى الوظائف الحكومية وصار الحصول على وظيفة ميزة كبيرة تستحق الاحترام .

ولكن النظر العاقد هو أن الموظف يجب أن يكون خادما للجمهور وعلينا نحن أن نتزع العقيدة السائدة التي تقول بعكس ذلك . ويجب ألا نتزعها من الجمهور فقط بل من الموظف أيضا . لأن كثيرا ما لوحظ على بعض الأعمال الحكومية أن التراخي قد فشا فيها حتى رسخ في الذهن أن ما يقوم به الفرد في العمل الخزلا يستطيع أن يقوم به الموظف في العمل الحكومى . وهذا الاعتقاد يسيء إلى الادارة الحكومية ويزعزع الثقة بمشروعات الحكومة وينل العزيمة في الإصلاحات التي تقوم بها الدولة .

ويستطيع الرؤساء في المصالح والادارات أن ياطغوا من اعتزاز بعض الموظفين بمناصبهم وأن ينزلوهم إلى مستوى الخدمة العامة للجمهور بالنصح والإرشاد بل بالقودة أيضا . وذلك بالمرور المتوالى على هؤلاء الموظفين ومعاينة المعاملة التي يلقاها الجمهور منهم . فهناك موظفون قد جعلوا مكاتبهم غرضا للزيارة لا ينقطع عنها الضيوف يقعدون اليهم ويتسامرون ويشربون القهوة أو الشاي . وكلما خرج ضيف جاء آخر . وهذه المسامرة تشغل الموظف عن أداء واجباته نحو الجمهور الذى يسخط على هذه الحال وعلى تأخير أعماله لازدحام المكتب بأناس لا شأن لهم غير الحديث والمؤانسة .

ثم هناك ذلك الموظف الآخر الذي يترك بيته من غير إفطار فإذا وصل إلى مكتبه استحال هذا المكتب إلى مائدة طعام . فحين طبق التول . وإلى جانبه طبق آخر للسلطة وهما الملاحظة وكوب الماء والخبز والبصل . وكل هذا يوضع على المائدة كأن هذا الموظف لا يذكر أن للدولة التي يؤدي عملها كرامة وأن موظفا في بنك أو متجر حر لا يستطيع بل لا يخطر في باله أن يضع مكتبه في هذا الوضع الزرى . ثم هو قد يترك أحد أفراد الجمهور ينتظره حتى ينتهى من فطوره . بل لعل هناك بعد الفطور فنجان من القهوة ثم تشعل السجارة وتقرأ الجريدة . ويجرى كل هذا والجمهور ينتظر . ولنا نقول إننا ننقل صورة عامة للموظفين بهذا الذي ذكرنا . ولكنا لانسك في أن منهم عددا نرجو أن يكون أقلية لا تتخرج من أن تجعل من المكتب غرفة للزائرين ومائدة للطعام .

وقد عمد بعض الرؤساء والمديرين إلى إيجاد "كائنين" للموظفين يقصدون إليه إذا احتاجوا إلى طعام أو شراب أو أى منعت آخر . فالموظف يسمح له بفترة عشر دقائق يقصد فيها إلى هذا الكائنين حيث يجد ما ينعشه ويحدد قواه من الراحة والطعام والشراب ثم يعود إلى مكتبه دون أن يدخل هذا المكتب أى شئ من الأشرطة أو الأطعمة . ويحسن جميع الرؤساء المديرين إذا عمموا هذه الطريقة في مكاتبهم ومصالحهم . وهم لو فعلوا لأروا في سرعة الانجاز وراحة الجمهور بل راحة الموظفين أنفسهم ما يبرر المجهود في إنشاء مثل هذا الكائنين الذى يرغب الموظف في الخروج من مكتبه والترويح عن نفسه . ولهذا الترويح قيمته العظيمة في تجديد القوى وبالتالي فى انجاز العمل . وقد اتبع كثير من المصانع هذه الطريقة فى الترويح عن عمالهم فوجدوا النائدة المحققة فى زيادة انتاجهم .

ونستطيع أن نزيد دلى ذلك بأن نقترح بأن يفصل الجمهور على الدوام عن الموظفين وذلك بأن نقام عتبة مادية تمنع الموظف من استضافة الضيوف . فإن موظف مكاتب البريد مثلا لا يجازله أن يقدم زائره إلى جنبه . لأنه ليس فى مكتبه كرمى زائد . ثم هو منفصل من الجمهور بسياج من خشب أو نحاس . نلم لا يعمم هذا النظام الذى نرى مثله فى جميع البنوك على سائر المصالح أو معظمتها - حتى تنقطع عادة الزيارة للموظفين فى مكاتبهم ؟

ولكن مع ذلك يجب على الرؤساء الذين يحددون هناك موانع لإيجاد هذا "الكائنين" الذى اشرنا إليه أن يكرروا المرور على الموظفين وينتزعهم من تناول فطورهم فى مكاتبهم وأن يمنعوا الزائرين من غشيان هذه المكاتب للسامرة وتعطيل الموظف عن أداء واجباته نحو الجمهور .

مدارس الخدمة الاجتماعية

بمصر

مدرسة القاهرة :

مصر حديثة العهد بهذا النوع من المدارس التي ترمى الى إثارة اهتمام الجمهور بالمسائل الاجتماعية عن طريق الدراسات العلمية المنظمة ، واعداد جيل يضطلع بأعباء الاصلاح الاجتماعى ، وتحسين الحالة العامة للشعب برفع مستواه الفكرى والمادى .

والواقع أنه كلما تعمقت المشكلات الاجتماعية في بلد واستفحل أمرها ، وتعذر حصرها ، ظهرت الحاجة الى "النطاسيين الاجتماعيين" من ذوى المؤهلات الخاصة ، يشخصون الداء ، ويصفون الدواء ، ويقومون بتنفيذ المشروعات الخيرية ، وإقامة أسس قوية للنشاط الاجتماعى ، وتوجيه الأذهان الى الحقائق والمعلومات التي تتعلق بوسائل الخدمة الاجتماعية .

وقد أقدمت "الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية" على تأسيس مدرسة نموذجية بالقاهرة ، بقصد تخريج عدد من الاختصاصيين والاختصاصيات المدربين تدريباً كاملاً للاشتغال بأعمال الخدمة الاجتماعية كمهنة ، وإعداد متطوعين ومتطوعات من يأسون في أنفسهم ميلاً للقيام بالأعمال الاجتماعية ، ومعاونة العاملين بالعمل في المنشآت الخيرية على تفهم أحدث النظريات والطرق العلمية في الميدان الذي يعملون فيه ، وإثارة اهتمام الرأى العام بأعمال الخدمة الاجتماعية ووسائل تحقيقها .

افتتحت أولى مدارس الخدمة الاجتماعية في سنة ١٩٣٧ بالقاهرة ، وهي على قسمين : الأول لى للدكور ، والثانى نهارى للإناث ، واشترط في طالب الالتحاق أن يكون له ميل للقيام بأعمال الخدمة الاجتماعية ، وأن يكون حائزاً على شهادة إتمام الدراسة الثانوية . وجعلت

رسوم الدراسة مائة قرش عن كل علم يدرسه الطالب من العلوم المقررة للعام الدراسي ، أما الطلبة الذين يختارون علوما خاصة فيدفع كل منهم مائة قرش عن كل علم يدرسه ، ويدفع عن مدة التدريب العملي جنيهين مصريين في السنة الثالثة التي هي بمثابة دراسة عملية في المؤسسات الخيرية والاجتماعية .

وتمنح المدرسة شهادة " دبلوم الخدمة الاجتماعية " . وتستغرق الدراسة النظرية للحصول على هذه الشهادة سنتين تنقسم كل منهما الى ثلاث فترات دراسية ، مدة كل فترة ثلاثة أشهر ، وتبدأ الفترة الأولى من شهر أكتوبر من كل عام ، ويعتمد في نهاية كل فترة امتحان تحريري وشفوي في العلوم التي تدرس خلالها .

ويقوم الطالب علاوة على دراسته بدراسة عملية تحت إشراف المادسة خلال شهر سبتمبر الى شهر مارس بعد انتهاء إجازة السنة الثانية مباشرة .

ويتقدم الطالب في نهاية مدة التدريب العملي للامتحان يبحث عن مشكلة من المشاكل الاجتماعية في مصر ، ويعتبر الطالب ناجحا اذا حصل على ستين في المائة على الأقل من النهاية العظمى لكل مادة .

ويتكون منهاج الدراسة من عدة مواد أهمها : دراسات في علم النفس ، وعلم الصحة ، وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد ، ثم المسائل الريفية ، وطرق الخدمة الاجتماعية ، ومشكلات العمل ، وأعمال الأندية ، والعناية بالأطفال المشردين والمهملين ، وتتناول الدراسة العملية القيام بأبحاث خاصة في المؤسسات الاجتماعية مع إعداد رسالة تتضمن نتيجة هذه الأبحاث .

وتتناول الدراسة في القسم النهاري — وهو مختص للتطوعات من السيدات والآنسات اللواتي يقع على عاتقهن أعظم جانب من أعمال الخدمة الاجتماعية — محاضرات مختلفة تتعلق بالمشكلات الخاصة بالخدمة الاجتماعية ، والعلاقات العائلية ، والأسس التي تنهض عليها هذه العلاقات ، وتنظم طرق الوقاية من الأمراض ، وإرشاد الناحين لكل ما يتعلق بالصحة وتنشيف الأطفال ، وتوجيههم وجهات صحيحة .

وقد جعلت الرسوم المدرسية للقسم النهاري ٢٥٠ قرشا وتشمل الدراسة الكاملة ، واشترط ألا يقل سن الطالبة عن ١٧ سنة ، وتراعى المقدرة العملية في اختيار الطالبات ، وتمنح المدرسة شهادات للأتي يتحسن الدراسة الكاملة بنجاح .

لم يعض عامان على افتتاح مديرية الخدمة الاجتماعية حتى قدر الرأى العام الجيود التى يبذلها القائمون بأمرها ، فى شتى نواحى الإصلاح الاجتماعى ، وزاد من شأن المدرسة أن انتخبت عضوا فى اتحاد مدارس الخدمة الاجتماعية الدولى ، وأن وافقت وزارة المعارف على تكوين لجنة للامتحان النهائى للطلاب ، وقررت منح المدرسة إعانة مالية سنوية .

وكان لتشجيع الحكومة والمهيات الخاصة أثره العميق فى مضاعفة مجهود المدرسة ونشاطها ، فان نشاطها لم يصبح قاصرا على طلابها وحدهم ، بل إن هناك أفرادا وجماعات فى مصر وفى الخارج ، يقصدون المدرسة للحصول على إرشادات ومعلومات وبيانات دقيقة فى ميدان الخدمة الاجتماعية .

وبالإضافة الى التنقيف الذهنى وإلى النفع الشخصى الذى يحصل عليه الطالب فانه كثيرا ما يعتمد فى معالجة مشاكله الشخصية والعائلية ومساعدة من يتصلون به ، على ضوء الدراسات العلمية المنظمة التى يتلقاها بين جدران المدرسة ، مثال ذلك : أن أحد الطلاب نعت نظره كثرة الإصابات بالحصى التيفودية فى المنطقة التى يعيش بها ، فبحث العوامل التى أدت الى انتشار المرض وأرجعها الى وجود فضلات ضارة يستعملها الفلاحون لتحسين مزارعهم ، ولقد قام هذا الطالب بالقاء عدة دروس فى المدارس الابتدائية وحذر طلابها من أكل الخضراوات النيئة من الحقول ، ثم وأبغى السلطات المسئولة باكتشافه وحثها على الاهتمام بالموضوع مما كان له أثر ظاهر فى تحسين الحالة الصحية ، فوجهت العناية لمنع استعمال هذه الفضلات ، وهناك طالب آخر نجح فى اقناع أهل امرأة من قريته مصابة بداء السل وفدت على القاهرة للعلاج بوجوب إبقائها فى المصححة وعدم عودتها الى القرية قبل أن تنال الشفاء حتى لا ينتشر الموضع فى البلدة . وقد تمكن بعد صعوبات جسيمة من إبقائها بالمستشفى بالقاهرة ، كما تمكن طالب ثالث من النجاح فى معاملة أخيه الشاذ وتوجيهه التوجيه الصحيح نتيجة دراسته للحالات الشاذة والمشكلة بالمدرسة .

ويوجد خمسة من الطلاب استماعوا الحصول على وظائف فى ميدان الخدمة الاجتماعية وشغلت إحدى الطالبات وظيفة زائرة صحية فى وزارة المعارف . كما تشغل طالبة أخرى وظيفة سكرتيرة قسم الاختصاصيين الاجتماعيين . ويشغل الآن ثلاثة من الطلاب فى مؤسسة الرفاف الملكى التى أنشأتها محافظة القاهرة لإيواء أطفال الشوارع .

وسوف تبرز القيمة العملية لخريجي مدارس الخدمة الاجتماعية عندما تقوم المشروعات الاجتماعية وتكثر المؤسسات الخيرية فتحتاج الى استخدام اختصاصيين من ذوى المؤهلات والكفايات الممتازة ليقودوا الحياة الاجتماعية الى أنبل الأغراض والوصول بها الى أسنى الغايات .

مدرسة الاسكندرية :

تأسست مدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية سنة ١٩٣٦ تحت رعاية اتحاد المشتغلين بالخدمة الاجتماعية بالاسكندرية واتحاد خريجات الجامعات ، وتختص أغراضها في :

(١) تهيئة فريق ملم بالمعلومات التي تؤهله للعمل في المنشآت الاجتماعية والخيرية الموجودة والتي ستوجد فيما بعد .

(٢) ارشاد الذين يرغبون في مساعدة إخوانهم ولكنهم لا يستطيعون القيام بذلك بسبب عدم توافر الخبرة والتشجيع الكافي .

(٣) إثارة اهتمام الجمهور بطريق الخدمة الاجتماعية وأنظمة المنشآت الاجتماعية الملائمة لحاجات البلاد .

والمدرسة ذات صبغة دولية ومحيدة من الناحيتين السياسية والدينية ولا ترمى لأى غرض تجارى .

وتحصل المدرسة على مواردها مما يدفعه الطلبة وهو مبلغ ستة جنيهات سنويا عن كل طالب ، ومما يعود به أعضاء لجنة رعاية المدرسة ، ومن الاعانات التي تدفعها الحكومة .
وتدير المدرسة لجنة تنفيذية مكونة من مندوبين عن لجنة رعاية المدرسة ومن بعض أساتذتها الذين يكرسون جزءا من وقتهم وجهودهم لخدمتها . وهؤلاء الأساتذة حاصلون على درجات جامعية أو من خريجي مدارس الخدمة الاجتماعية أو من كبار الاختصاصيين .

والمدرسة تحت رعاية لجنة تجمع بعض الشخصيات البارزة بالاسكندرية من الجاليات المختلفة الذين يهتمون بالأعمال الاجتماعية. والغرض من هذه اللجنة نشر وتشجيع فكرة الخدمة الاجتماعية المنظمة بين الشعب ، وتسهيل تشغيل المتخرجين من المدرسة .

وقد تطوّعت لإدارة المدرسة أثناء السنتين الأوليين مدام فيسترو تديرها الآن مدموازيل أجيون .

وقد بلغ عدد طلبة المدرسة النظاميين عند إنشائها سنة ١٩٣٦ المتداخلة في سنة ١٩٣٧ اثني عشر طالبا وظل عددهم يتزايد حتى بلغ الآن نحو أربعين طالبا وطالبة بينما يتراوح عدد الطلبة المستمعين بين ٥٠ و ٦٠ كل سنة .

وتنقسم المدرسة الى قسمين : احدهما تلقى الدروس فيه باللغة العربية ، والآخر تلقى الدروس فيه باللغتين الانجليزية والفرنسية .

والتعليم بالمدرسة مشترك ويشترط للالتحاق بها وجوب حصول الطالب أو الطالبة على شهادة البكالوريا أو ما يعادلها وألا يقل سنه عن ثمانية عشر عاما .

وتلقى الدروس مساء ما بين الساعة الخامسة والثامنة يوميا ماعدا أيام الجمعة والأحد .

وتقبل المدرسة مستمعين ومستمعات ولكنهم لا يقبلون امتحانات المدرسة ولا يقبلون في السنة التمرينية ولا ينالون أية شهادة ، ويدفع المستمعون مبلغ ٢٠ قرشا شهريا عن كل مادة .

ومدة الدراسة سنتان تليهما سنة تمرينية في المنشآت الاجتماعية في مصر أو في الخارج ، وبعد أن يؤدى الطالب الامتحانات الضرورية ويقدم بحثا مستمدا من تجاربه العملية ، ينال دبلوم مدرسة الخدمة الاجتماعية .

ومواد الدراسة هي : مبادئ علم الاجتماع ، علم النفس ، الاقتصاد السياسى ، طرق الخدمة الاجتماعية ، التشريع الاجتماعى ، المشاكل القروية ، التربية العملية ، تنظيم أوقات الفراغ ، الصحة والاسعاف الأولى ، التشريع ووظائف الأعضاء ، اللغة الفرنسية .

وبفضل انضمام هذه المدرسة الى اللجنة الدولية لمدارس الخدمة الاجتماعية بناء على دعوة منها ، وهى التى تجمع معظم مدارس الخدمة الاجتماعية فى العالم ، قد أمكن لهذه المدرسة أن تحصل لتلميذاتها على فرص للتمرين فى بلجيكا وسويسرا وفرنسا وانجلترا .

وتتخرج المدرسة على طلبتها القيام بدراسات للتخصص وأهم هذه الدراسات هى : ممرضات وزائرات صحيات واجتماعيات ومساعدات بالمستشفيات ، أعمال اجتماعية بالريف ، أعمال اجتماعية بالمصانع ، أعمال وقائية للأخلاق ، أندية ومعسكرات ومصايف للأطفال ، الأعمال الادارية فى الجمعيات ، الأعمال المتعلقة بالتربية فى الجمعيات ، تربية الأطفال الشواذ ، والأطفال المجرمين .

السَّيْلَةُ وَالْجَوْبَةُ

الحياء وتفسيره

(الاسماعيلية — ع. خ.) ما هو تعليل الحياء وكيف يمكن معالجته ؟

المجلة — الحياء نوع من الخوف . وهو في الشاب يعزى الى قسوة الأب في الطفولة . فينشأ الطفل وهو يخاف الرجال لأن الصورة المرسومة لهم في نفسه منذ طفولته هي صورة أبيه حين كان يقسو عليه . فكلما لقي وجها غريبا — وهو في الأذنب وجه رجل — شعر بحياء يقارب القشعرية . وهذا الشعور يفسد شخصيته وينقص كفاءته . وهو حين يعرف الأصل لحياته فإنه في الأغلب يقطع عنه . ولكنه مع ذلك يحتاج الى المراتة ولو كان ذلك بأن يتعرض لأحد السابلة ويسأله عن الوقت أو الشارع أو نحو ذلك .

الزوجة اللائقة

(ديروط — ص. د) تزوجت مرتين ولكني لم أجد الهناءة في الحياة الزوجية فكيف أوفق الى الزوجة الصالحة ؟

المجلة — من البعيد أن يكون الخطأ من ناحية الزوجتين . والأرجح أنك أنت المخطئ وأن لك أسلوبا في المعاشرة لا يتفق مع الهناءة الزوجية . وقد قال جونسون الأديب الانجليزي عن صديق طلق زوجته وتزوج أخرى: "إن هذا الزواج الثاني هو انتصار الأمل على الخبرة".

والرجل الذي لا يتفق مع زوجته ويسكن الى عشرتها قد يكون نفوره راجعا الى مزاجه وأخلاقه . وهو ربما يعامل أصدقاءه ومعارفه بمثل هذا النفور . فانظر في نفسك فلعل الخطأ فيك أنت وليس في الزوجات .

إنشاء جمعية تعاونية

(النيا - ر - ط) كيف يمكن إنشاء جمعية تعاونية ، وما هي الإجراءات التي يجب أن تتخذ لذلك .

المجلة - عليك أن تثبت فكرة التعاون قبل كل شيء في نفوس أصدقائك أصحاب المصالح ، زراعا كانوا أو تجارا أو غير ذلك بحسب الغرض الذي تنوى أن تنشئ لخدمته هذه الجمعية التعاونية ، والجمعيات أنواع ، فمنها الزراعية ومنها المتريية ومنها المالية وهكذا .

واختر بعد ذلك عددا منهم يجعلهم لجنة تأسيسية ، وينبغي ألا يقل عدد أعضاء هذه اللجنة عن عشرة ، ثم قدروا رأس مال ابتدائي واكتبوا به مع العلم بأن ثمن السهم الواحد لا يجوز أن يقل عن خمسين قرشا ولا يزيد على جنيتين .

فإذا ما جمعتم رأس المال فأودعوه أحد البنوك أو خزانة المديرية ، ثم اخطروا بهذه الإجراءات مفتش التعاون في منطقته ، وسيقوم لكم بعد ذلك بتسمية الإجراءات حتى تصلوا إلى تسجيل الجمعية رسميا والنشر عنها في الوقائع المصرية حسب القانون وتسلم دفاترها ، وميرسل لكم مفتشو التعاون ومنظموه ومراجعو حساباته أساليب العمل وأنظمة القروض وما إلى ذلك .

المناقرة في البيت

(السنطة - ث . ج) ما هو الأصل لمرض المناقرة التي تصاب به الزوجة وكيف تعالج منها ؟

المجلة - المناقرة قد تأتي من الزوج كما تأتي من الزوجة . ولكنها تكثر في الزوجة وسببها الضعف والرغبة في استئثار السيطرة على الشخص الآخر . وعلاجها يجب أن يتجه نحو فصل السلطات بين الزوجين حتى لا يتدخل أحدهما في عمل الآخر . والبيت شركة . ولا تقوم شركة بين اثنين إلا باختصاص كل واحد من المشتركين بعمل ما . كما يجب الاقتناع والاقتناع بأن المناقرة لم تقم قط مقام الحجة . ولذلك فهي مجهود ضائع .

أحسن الوقت للتعلم

(الحيزة - ف . س) ماهو أحسن سنى العمر للتعلم ؟

المجلة - يقول الأستاذ وين جونز بجامعة ليدز إن الانسان يكون على أقدره فى التعلم حوالى العشرين ، وتستمر هذه القدرة على الزيادة إلى سن الثانية والعشرين ، ثم تبقى على حال لا تغير إلى الخامسة والثلاثين ، ولكن النقص لا يكاد يؤبه إلى سن الخمسين ، ثم يبدأ الانحسار قليلا قليلا إلى السبعين والثمانين حين يكون عظيمًا .

ولكن تناقص القدرة على التعلم يجب أن تكون حافزا لامشطاط عن التعلم ، وفى الأقطار المتقدمة يطلب العلم الكهول والشيوخ فى الخمسين والستين .

صناعة الفنادق

(مجلة روح - ر . ج) لماذا نجد أن صناعة الفنادق فى مصر ليست فى أيدٍ مصرية ، وهل هى شاقة أو تحتاج الى تعليم خاص ؟

المجلة - كثير من الأمم المتقدمة ينشئ المدارس لتعليم الطلبة كيف يخدمون فى الفنادق أو يديرونها . ومعظم الفنادق الكبيرة فى مصر يديرها الأجانب لأن أغلب زبائنها من السياح الذين يحتاجون الى من يتفاهم معهم بلغاتهم ، وأعظم ما يحتاج اليه الفندق والمطعم هو النظافة بل الصناعة ثم تعلم اللغات . ولكن لابد من الخدمة السابقة لاكتساب المراتبة اللازمة للإدارة الحسنة ولا نحتاج الى القول بأن المطعم يشترط فى إدارته القدرة على تدبير الطعام الحسن ودرس اقتصادياته وهذا الدرس لا يتم بغير التمرين .

التجارة والنجاح فيها

(البينا - ا . ط) ماهى الشروط اللازمة للنجاح فى التجارة ؟

المجلة - لعل أهمها هو الأمانة . فإن المثل الانجليزى التجارى يقول "الأمانة خير الخلط" ولكن الحقيقة أنها هى الخطوة الوحيدة التى تؤدى الى النجاح فى التجارة وغير التجارة . ففى التجارة يجب أن نبعث الثقة فى المشتري . وهذه الثقة ان تكون إلا بأن يشعر بأن البائع أمين لا يفتش . ثم يلى ذلك الخبرة . ولعل أفضل الطرق لإيجاد الخبرة أن نبدأ بالتجارة الصغيرة ثم نكبر بالتدرج . وأفدح الخسائر التى تصيب التجار تأتى من قلة الخبرة ومن المغامرة فيما يجهلون من الأعمال .

الزراعة المصرية

(الاسكندرية — م ١٠) المشهور أن التربة المصرية من أخصب الأرض في العالم فهل الغلة تناسب مع هذه الخصوبة وهل نحن نجني من أرضنا أكثر مما تجنيه الأمم الأخرى من أرضها ؟

المجابهة — لا نكأن في خصوبة التربة المصرية . ولكن هذه الخصوبة قد نقصت بعض الشيء لارتشاح المياه التحنية الى أعلى .

وهذه المياه ملحة تعطل النمو أو تؤخره .

ولكن الزارع المصري لا يستغل أرضه الى الحد الممكن لأنه يجهل بعض الصناعات الزراعية . فان تربية الدجاج والماشية وصنع الجبن — كل هذه صناعات زراعية يمارسها الزارع الدنمركي أو الهولندي أو الألماني — وهو حين يمارسها يزيد دخله ويخصب أرضه . وهذا هو ما ينقصنا في مصر .

الثقة

- من أحسن الثقة بنفسه فليثق بعدها بمن يشاء .
- العاقل لا يثق حتى يجرب ، ولا يهتم حتى يتبين .
- الثقة مراتب ، فلا ترق لعليا مراتبها الا الذمريك في المرء المعين على الضر ، الأمين على السر .
- ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر .
- الثقة وثاق الأحرار .
- من نقض موثقه ، نقض عنه الثقة .